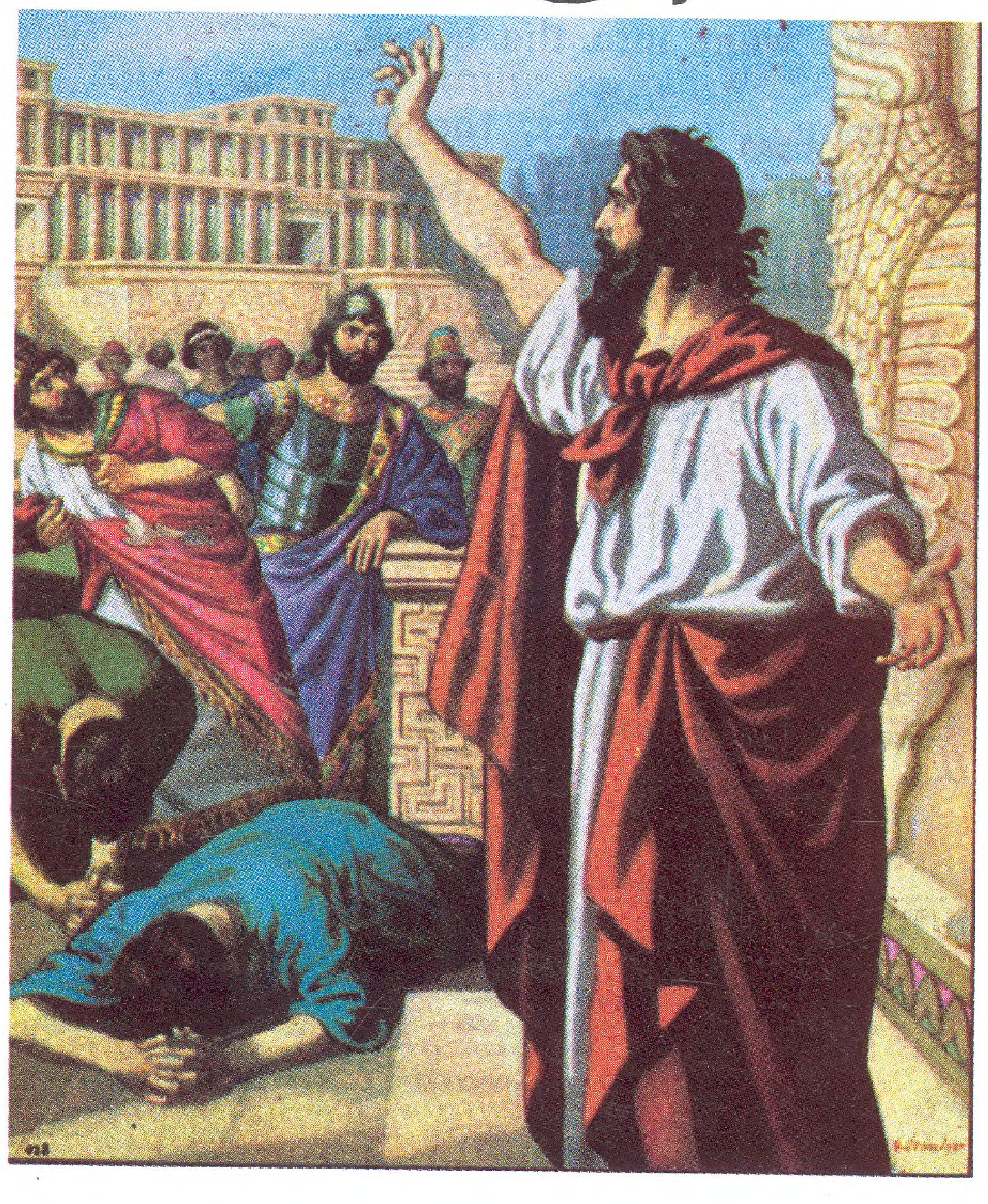
من تفسير وتأملات
الآباء الأولين

يونان



القمص تادرس يعقوب ملطي



يونان

القمص تادرس يعقوب ملطي

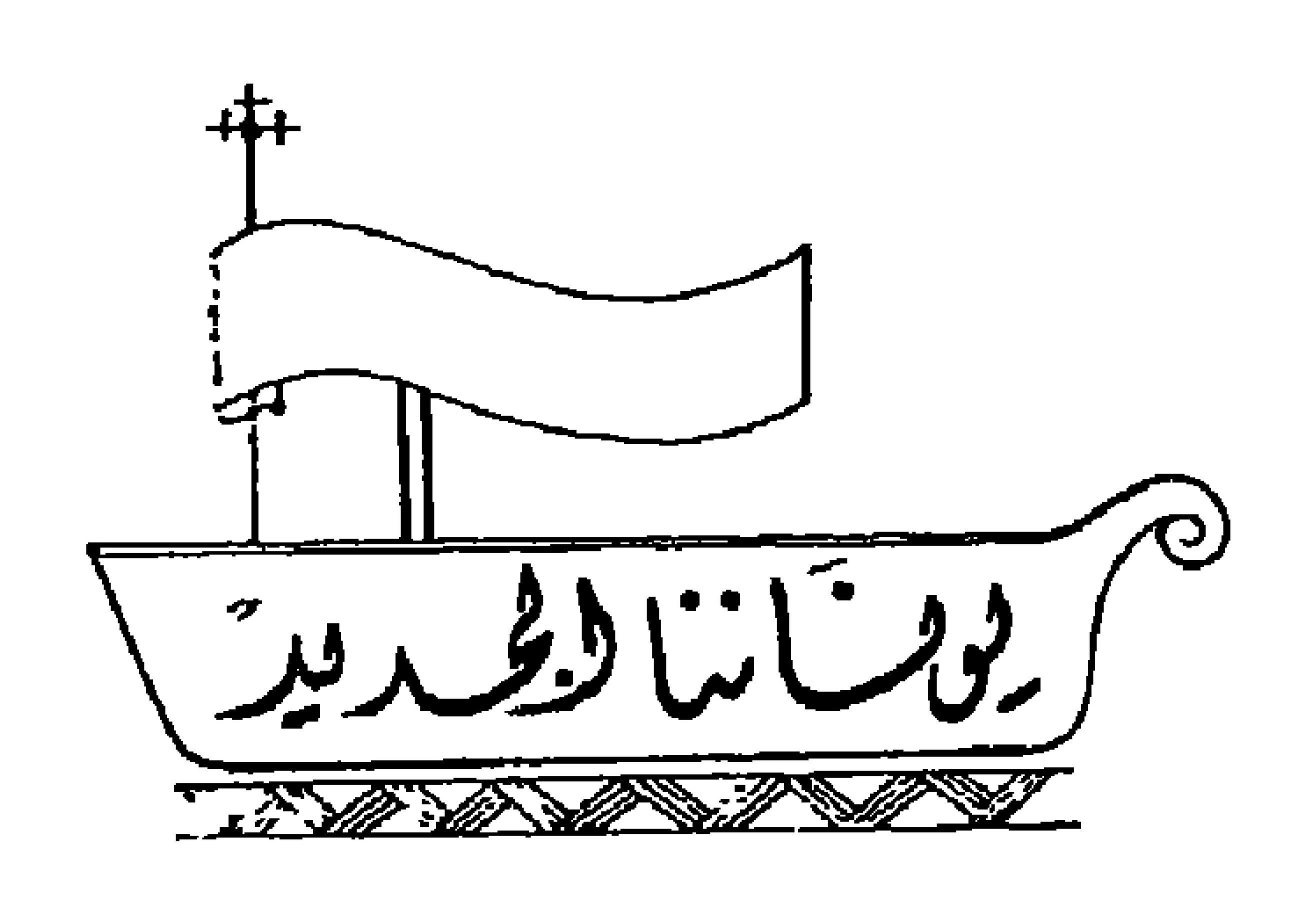


حضرة صاحب القداسة والغبطة

البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

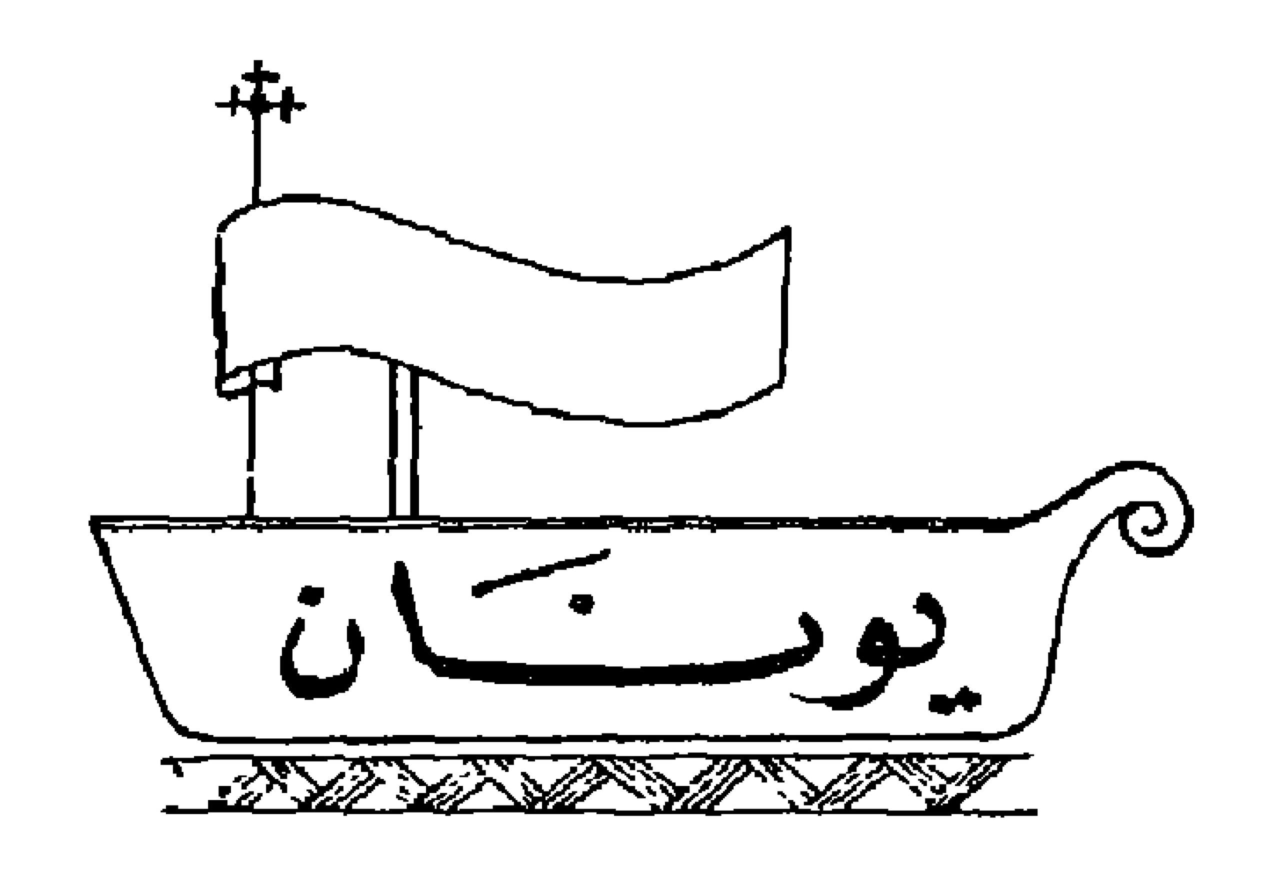
محتويات الكتاب



كثيرون يتطلعون إلى يونان مجرد نبى هارب من وجه الرب ، الأمر الذى لا يستطيع أحد أن يتجاهله ، لكنهم يتجاهلون موقفه بكونه النبى الوحيد الذى أرسله الرب قديماً للكرازة فى بلد أممى ، نينوى عاصمة أشور. وإذ أدرك بروح النبوة أن خلاص الأمم يتحقق خلال رفض إسرائيل للإيمان لم يحتمل يونان هذه الإرسالية ، هارباً من الخدمة ، ليس كراهية فى الأمم وإنما خوفاً على خاصته . لعله أدرك خلال ظلال النبوة ما أعلنه الرسول بولس عن إسرائيل : « بزلتهم صار الخلاص للأمم... كانت زلتهم غنى العالم» (رو ١١: ١١، ١٢).

شاهد يونان إسرائيل كيقطينة ظللته إلى حين بالشريعة والنبوات ، لكنها يبست بدودة الجحود وعدم الإيمان والخيانة للمسيا المخلص ، لذا إغتم غماً شديداً وإغتاظ (٤ : ١) . هكذا كان حبه لإسرائيل الذى استظل به هو علة هروبه من خدمة الأمم وسر غمه الشديد . والعجيب أن الله فاحص القلوب حوّل هذا الهروب بالرغم مما فيه من عصيان للأمر الإلهى إلى كرازة وخلاص لفئة جديدة من الأمم هم البحارة ورئيس النوتية الذين خافوا الرب خوفاً عظيماً وذبحوا ذبيحة للرب ونذروا نذوراً (١ : ١٦) بعد القاء يونان فى المياه ودخوله جوف الحوت ، فصار عملاً رمزياً لخلاص الأمم بعد أن أُلقى السيد المسيح « يونانا الجديد » فى القبر.

ليحملنا روح الله القدوس إلى يونانا الحق فنراه من أجلنا يسلم نفسه ليُلقى فى بحر حياتنا الثائرة ، نازعاً عنها إضطراباتها ، حاملاً إيانا معه لا فى جوف الحوت وإنما فى قبره المقدس لندفن معه كل يوم ونقوم أيضاً معه حاملين شركة أمجاده الإلهية .



يـونان :

١ - كلمة « يونان » أو « يونا » فى العبرية تعنى حمامة ، وفى رأى **القديس چيروم** تعنى أيضاً « متألم » . لهذا يرى أن هذا السفر هو سفر حلول الروح القدس الذى يظهر على شكل حمامة كما فى عماد السيد المسيح ، خلال المسّيا المتألم ، الذى دخل إلى القبر كما إلى جوف الحوت وقام ليقيمنا معه ، واهباً إيانا روحه القدوس عاملاً فينا . وكما يقول **القديس چيروم** : [صوّر يونان قيامة ربنا بعبوره فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ ليهبنا الغيرة الأولى لنوال حلول الروح فينا] .

٢ - تنبأ يونان بن أمتاى فى أيام يربعام الثانى ملك السامرة (٢ مل ١٤ : ٢٥) ؛ عاش فى جت حافر التى من الناصرة . وقد تنبأ أن الله يرد حدود السامرة إلى مدخل حماة شمالاً وإلى بحر العربة وخليج العقبة جنوباً ، أما موضوع نبوته لإسرائيل فهو إنقاذه من ظلم آرام (سوريا) .

٣ - كان نبياً لإسرائيل « مملكة الشمال » حوالى عام ٨٢٥ - ٧٨٤ ق . م ، معاصراً عاموس النبى ، وقد سجل نبوته غالباً بعد عودته من نينوى .

٤ - جاء فى التقليد اليهودى أن يونان هو إبن الأرملة الذى أقامه إيليا النبى فى صرفة صيدا (١ مل ١٨ : ١٠ - ٢٤) ، و يرى البعض أنه تقليد له إعتباره ، إذ يليق إرسال هذا النبى المحب لإسرائيل إلى نينوى الأممية يكرز لها بالتوبة بكونه أممى من جهة والدته (١) .

نينـــوى :

عاصمة الأمبراطورية الأشورية ، جددها الملك سنحاريب كعاصمة له (٢ مل ١٩ : ٣٦) .

يرى البعض أن مدينة الموصل الحالية تقوم على نصف مساحة نينوى القديمة (٢) ، ويرى غالبية الدارسين أن نينوى قد شيدت على الضفة الشرقية من نهر دجلة ، على فم رافد « الخسر » ، على بعد ٢٧ ميلاً من إلتقاء دجلة مع الزاب (٣) . وكان العبرانيون يعممون إسم نينوى ليشمل كل المنطقة حول إلتقاء الزاب بدجلة (تك ١٠ : ١١ ، ١٢ ، يون ١ : ٢ ؛ ٣ : ٣) .

كان أهل نينوى ، وهم بابليون الأصل (تك ١٠ : ١١) يعبدون الإلهة عشتاروت ، عُرفت المدينة بغناها وعظمتها وجمالها فكان ملوك الأشوريين يجلبون إليها الغنائم ويحسبون العالم القديم كله عبداً لها .

سمى ناحوم النبي نينوى « مدينة الدمار » ملآنة كذباً وخطفاً ، كما تنبأ صفنيا النبي بخرابها . عُرف ملوكها بالعنف الشديد يتسلون على جذع أنوف الأسرى وسحل عيونهم وقطع أيديهم وآذانهم ، وعرضهم أمام الشعب للسخريه .

فى أواسط القرن السابع ق . م أخذت إمبراطورية أشور تتقهقر وتنحل ، وفى عام ٦٢٥ ق . م أعلن نابوبلاسر البابلى إستقلاله عن نينوى ، وفى عام ٦١٢ ق . م تحالف مع جيرانه أهل مادى وهاجم نينوى نفسها ودمرها ، ساعده على ذلك فيضان دجله وطغيان مياهه على الشوارع والساحات ، وقد تحولت المدينة إلى أسطورة .

نينوى وكنيسة الأمم :

سفران فى العهد القديم موجهان إلى الأمم ، سفر عوبديا يخص بنى آدوم حيث يعلن رمزياً هلاك الإنسان العتيق الدموى (بنى آدوم) وإقامة الإنسان الجديد الروحى (صهيون) ، وسفر يونان يخص أهل نينوى الذى يعلن رمزياً عن قبول الأمم للكرازة وإعلان توبتهم ورجوعهم إلى الله .

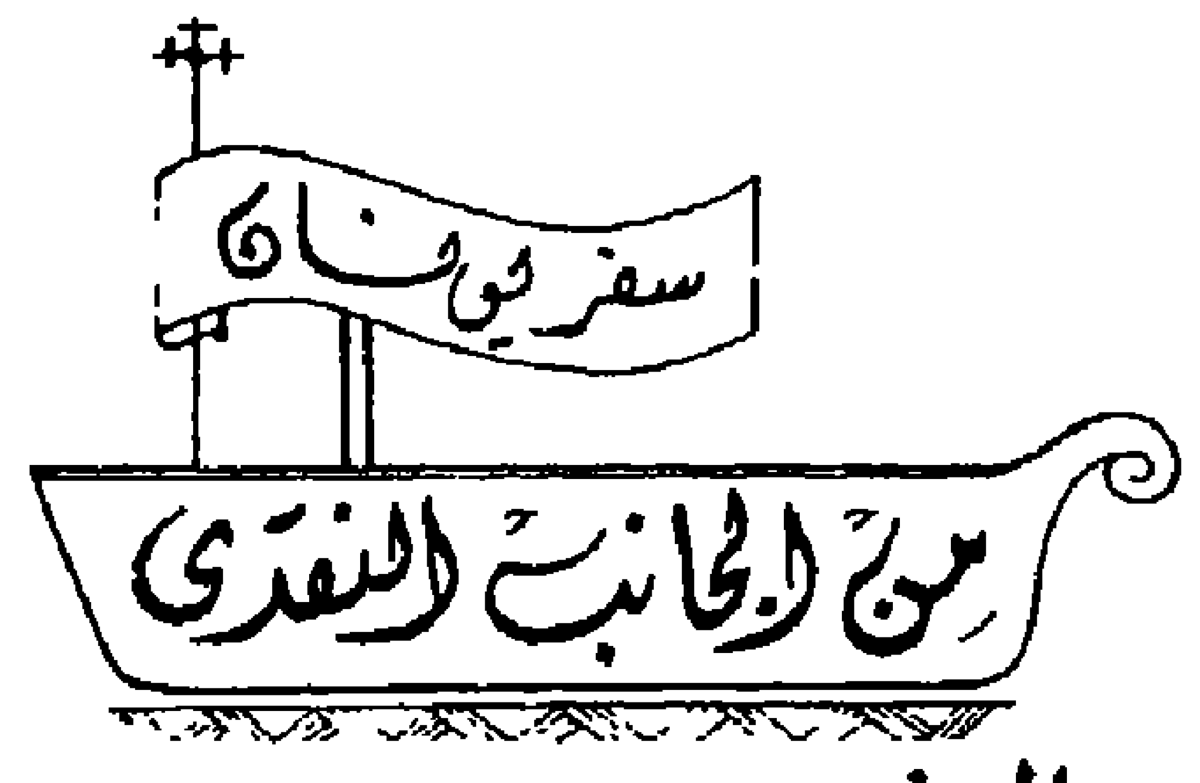
بينما كان اليهود يقاومون الأنبياء ويضطهدونهم إذا بأهل نينوى يقبلون كرازة يونان ويعلنون صدق توبتهم . بهذا يرى القديس چيروم صورة رمزية لرفض اليهود للسيد المسيح الذى تنبأ عنه أنبياؤهم بينما قبلت الأمم الغريبة الإيمان به خلال سماعها عنه . وكما قال السيد المسيح نفسه : « رجال نينوى سيقومون فى الدين مع هذا الجيل ويدينونه ، لأنهم تابوا بمناداة يونان ، وهوذا أعظم من يونان ههنا » (مت ١٢ :

٤١) . يقول **القديس چيروم :** [صار اليهود تحت الحكم بينما قبل العالم الإيمان . تمارس نينوى التوبة بينما يهلك إسرائيل فى جحوده ويجف . هم عندهم الكتب أما نحن فلنا رب الكتب ؛ هم لهم الأنبياء أما نحن فلنا فكر الأنبياء . هم يقتلهم الحرف أما نحن فيحينا الروح . لديهم باراباس مقيداً ، أما نحن فلنا المسيح إبن الله حراً] .

هذا الفكر لم يظهر فى توبة نينوى فحسب وإنما فى خشوع رئيس النوتية والبحارة وخوفهم الرب وتقديمهم ذبائح له و ينذرون نذراً ... أى قبول الأمم الرب وتقديمهم العبادة الخاشعة له .

سماته :

كشف هذا السفر عن محبة الله للبشرية من جوانب متعددة ، فأعلن أنه إله الجميع ، يهتم باليهود كما بالأمم ، يوّد خلاص كل نفس . فى محبته يعلن ضعفات نبيه لا للتشهير بها وإنما ليهب رجاء لكل نفس ضعيفة ، وفى محبته يبرز الجوانب الطيبة حتى فى الأممين فيعطى ضوءاً على تصرفات رئيس النوتية ورجاله المملوءة حكمة ولطفاً فإستحقوا أن يتعموا بالإيمان . وفى محبته يستخدم الله كل شىء حتى الخليقة الجامدة لتحقيق غايته نحو الإنسان فهو الذى أرسل النوء العظيم ، وأعد حوتاً ليبتلع يونان ، ودودة تأكل اليقطينة وتتلفها ، وريحاً شرقية حارة فتضرب الشمس رأس يونان ... كلها إرساليات تبدو عنيفة وشديدة لكنها تحقق مصالحة الله مع الإنسان وتعلن عن محبته له .



١ ـ يونان ككاتب السفر :

قدم لنا Raven فى كتابه « مقدمات العهد القديم » ملخصاً لأهم الإعتراضات على أن يونان هو كاتب السفر، وهى (٤) :

أولاً ـ أن السفر لم يشر إلى أن يونان هو كاتبه . و يُرد على ذلك أن المقدمة جاءت بنفس طابع مقدمات كثير من أسفار الأنبياء مثل هوشع و يوئيل وميخا وصفنيا وحجى وزكر يا .

ثانياً ـ قيل أن السفر يحوى. كلمات آرامية وتعبيرات إستخدمت فى عصر متأخر بعد زمن يونان ، مثل تعبير « إله السماء » (١ : ٩) الذى إستخدمه عزرا ونحميا ودانيال ولم يستخدمه رجال ما قبل السبى . و يرد على ذلك أن وجود تعبيرات مستخدمة بعد السبى لم تظهر فى أسفار ما قبل السبى، لا يعنى أن التعبير كان غير معروف قبل السبى . أما تعبير « إله السماء » على وجه الخصوص فلم يظهر فى أسفار ما قبل السبى إلاّ فى يونان ، لأن الحديث موجه إلى رجال أُميين كالبحارة وملك نينوى (٣ : ٧) ، وهو تعبير مناسب لهم . وجود كلمات آرامية إستخدمت مؤخراً لا تعنى عدم معرفتها قبلاً ، إنما يُحتمل أن تكون منقولة عن العبرية القديمة ولو كانت لم تستخدم فى الكتب المقدسة قبل السبى .

ثالثاً ـ يرى البعض أن الكاتب فى عصر متأخر مدللين على ذلك عدم معرفته لإسم ملك نينوى إذ لم يذكره بالأسم . يرد على ذلك أن النبوة وإن كانت تمس حياة أهل نينوى لكنها موجهة لإسرائيل للكشف عن محبة الله للأمم وشوقه إلى توبتهم وخلاصهم ، فلا حاجة لذكر إسم الملك .

رابعاً ـ ما ورد فى صلاة يونان الشعرية (الأصحاح الثانى) مقتبساً من المزامير، وكأنها كتبت فى عصر متأخر:

ع ٣ من مزمور ٤٢ : ٧ ؛
ع ٥ من مزمور ٦٩ : ١٠ ؛
ع ٩ من مزمور ٥٠ : ١٤ .

ويرد Raven بالقول أنه ليس فى هذا دليل أن السفر كُتب متأخراً ، فكما يمكن القول بأن يونان إقتبس من المزامير يجوز لنا القول بأن المزامير إقتبست هذه العبارات عن سفر يونان .

٢ ـ سفر رمزى :

إدعى بعض النقاد أن هذا السفر يقدم صورة رمزية مجردة وليس حقيقة واقعة ، فيونان فى رأيهم يمثل إسرائيل العاصى ، والحوت الذى إبتلعه هو بابل الذى سبى إسرائيل ، وجوف الحوت هو السبى ، وما تلى ذلك من خلاص إنما يشير إلى عمل الله الخلاصى ورد الشعب من السبى . أما حججهم فى ذلك فهى :

أ ـ لم يرد السفر بين الأسفار التاريخية بل النبوية .

ب ـ جاءت توبة أهل نينوى سريعة ومفاجئة وبشكل جماعى ، وجاء قرار ملك نينوى بطريقة غير متوقعة ، الأمر الذى لا يحدث واقعياً .

جـ ـ لا يعقل أن إنساناً يُحفظ فى جوف الحوت لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ ويخرج حياً ، ويقدم صلاة شكر داخل الجوف .

د ـ ما ورد فى هذا السفر قدم فكراً رمزياً أُعلن فى أسفار أخرى ، فقد رُمز لنبوخذراصر بتنين يبتلع إسرائيل : « أكلنى أفنانى نبوخذراصر ملك بابل ، جعلنى إناء فارغاً ، إبتلعنى كتنين وملأ جوفه من نعمى ، طوّحنى ... وأعاقب بيل فى بابل وأخرج من فمه ما ابتلعه فلا تجرعه إليه الشعوب بعد ويسقط سور بابل أيضاً ، أخرجوا من وسطها يا شعبى ولينج كل واحد نفسه من حمو غضب الرب » (أر ٥١ : ٣٤ ، ٤٤ ، ٤٥) . ورُمز لمدة السبى بثلاثة أيام : « يُحيينا بعد يومين ، فى اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه » (هو ٦ : ٢) .

ويرد بعض الدارسين على الإعتراضات السابقة مؤكدين أن هذا السفر مع ما حمله من معانٍ رمزية كثيرة يروى قصة واقعية حقيقية ، ودلائلهم على ذلك الآتى :

أ ـ وضع السفر بين كتب الأنبياء لا بين الأسفار التاريخية لا ينفى ما قدمه السفر

من واقع تاريخى ، فقد وُضعَ هكذا لأن الكاتب نبى ، ولأن الواقعة تحمل أيضاً جانباً نبوياً ، كما جاءت تسبحة يونان قطعة نبوية رائعة تعلن عن عمل السيد المسيح الخلاصى .

ب ـ الإعتراض بأن توبة ملك نينوى وشعبه جاءت سريعة بطريقة غير متوقعة لا يمكن قبولها ، إعتراض ضعيف ، فظهور نبى غريب الجنس قذفه الحوت بعد ثلاثة أيام من جوفه قد أثار البلد كلها ، وكان موضوع رعب الجميع . وقد تحدث السيد المسيح عن أهل نينوى فى توبتهم بكونهم يدينون إسرائيل ، كما أعلن أن أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء الملكوت .

جـ ـ ما ورد فى سفرى أرميا وهوشع من رموز مشابهة لقصة يونان كتشبية ملك بابل بالتنين ومدة السبى بثلاثة أيام لا يعنى أن سفر يونان سفراً رمزياً مجرداً ، بل بالحرى إستقى البنيان الرمز منه .

د ـ أما من جهة إمكانية بقاء إنسان حىّ لمدة ثلاثة أيام فى جوف حوت وتقديمه تسبحة شكر لله هناك ، فقد إعترض البعض على ذلك حتى فى عصر **القديس چيروم** إذ يرد عليهم بقوله : [هل هؤلاء القوم مؤمنون أم غير مؤمنين ؟! فإن كان لهم الإيمان فليصدقوا ما قيل . كيف يمكن لثلاثة فتية يُلقون فى أتون نار ملتهب ولا تمس النار ثيابهم ولا حلت بها رائحة النار (أر ٣ : ٢٩) ؟! كيف يتراجع البحر كيابسة و يصير كسورين للشعب حتى يعبر (خر ١٤ : ٢٢ - ٢٩) ؟! كيف يمكن لأسد جائع يرى ضحيته (دانيال) فى الجب ولا يريد أن يلمسها ؟!] .

هذا من الجانب الإيمانى ، أما من الجانب العلمى فقد أفرد الدكتور يوسف رياض الأستاذ بكلية العلوم بجامعة الإسكندرية بحثاً شيقاً يوضح من الجانب العلمى إمكانية حدوث هذا (٥) . قال أن الكلمة العبرية « دوج » التى ترجمة « حوت » وردت فى العهد القديم ١٩ مرة وترجمة فى كل مرة « سمكة » ، وأن الكلمة اليونانية فى العهد الجديد « كيتوس » ترجمتها « وحش من الأعماق » ، وكأن العهدين إتفقا أنها سمكة ضخمة أو وحش بحرى . وقد أورد أمثلة من الواقع العملى لأُناس وحيوانات إبتلعتها أنواع من الأسماك خاصة الـ Rhinodon Typicus دون أن يتحطم هيكلهم العظمى أو يصابوا بأذى . من بين هذه الأمثلة سقط آحد البحارة من الأسطول الإنجليزى يقوم

بالصيد فى القتال الانجليزى فإبتلعته سمكة من هذا النوع وهربت . وإذ قامت السفن القريبة بالبحث عنها وجدتها بعد ٤٨ ساعة فاصطادتها بمدفع ، وسحبت السمكة لإخراج هيكل الجندى ودفنه ، وكم كانت دهشتهم بالغة حين رأوا زميلهم مُغمى عليه فأنقذوه وُدعى « يونان القرن العشرين » .

هـ - لم يقف الدارسون عند حد الرد على المعترضين على واقعية قصة يونان ، وإنما قدموا دلائلهم على ذلك منها :

أولاً - أشار ربنا يسوع المسيح إلى قصة يونان كحقيقة واقعة ، وأيضاً إلى توبة أهل نينوى (مت ١٢ : ٣٩ - ٤٠ ؛ لو ١١ : ٢٩ - ٣٠) ، ولم يعترض أحد من اليهود أنها قصة رمزية .

ثانياً - طابع السفر تاريخى بسيط وليس بالسفر الشعرى الرمزى ، إذ يضم أصحاحاً واحداً شعرياً هو صلاة يونان فى جوف الحوت . هذا ويذكر السفر إسم النبى وأسم والده بكونهما شخصين معروف مكان نشأتهما (٢مل ١٤ : ٢٥) ، كما يذكر أسماء مواضع معروفة مثل يافا وترشيش ونينوى ، فالأسماء ليست رمزية .

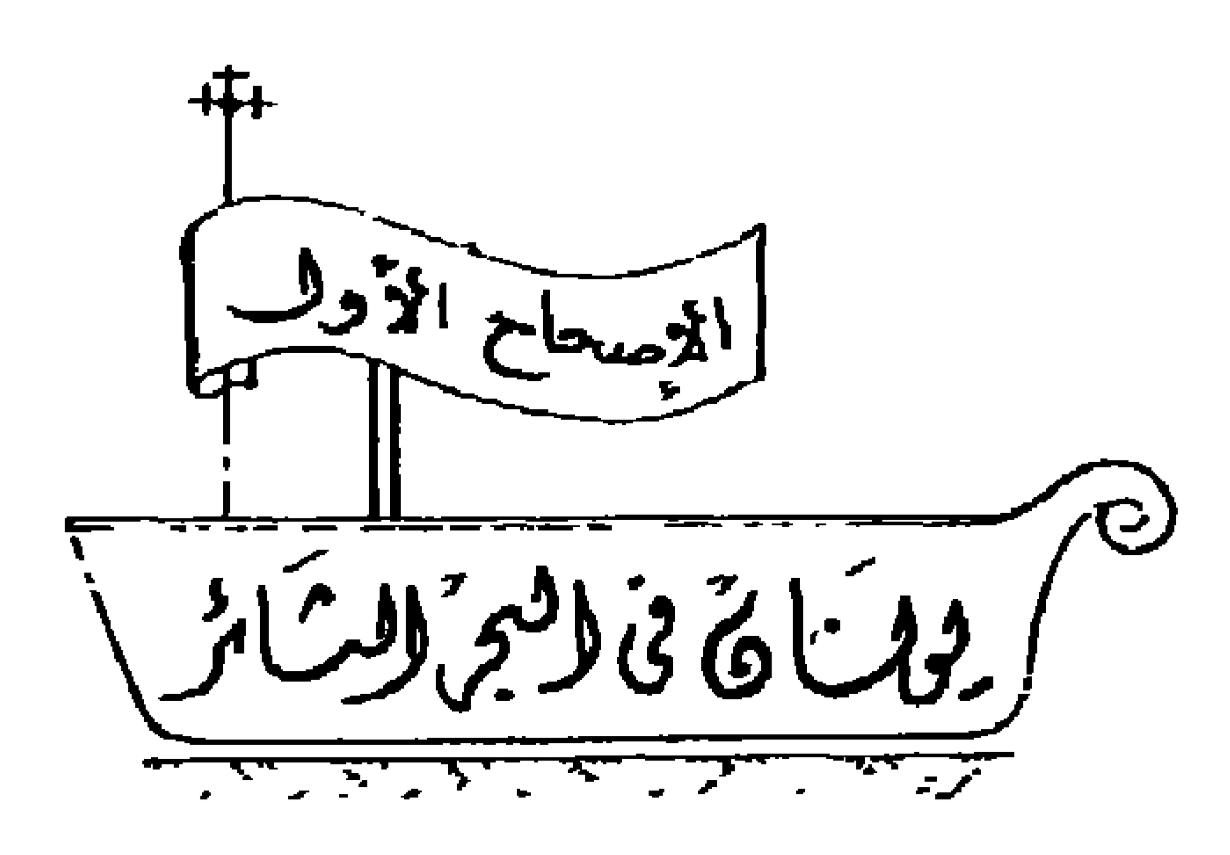
ثالثاً - لو أن السفر قصة رمزية غير واقعية كتبها آخر غير يونان نفسه لما كشف بقوة عن خطأ فكر النبى فقد جاء السفر يكشف عن الكاتب كنبى تائب يسجل بقلمه وبوحى إلهى أعترافاته ، فاضحاً أعماق قلبه ، وكأنه مع معلمنا بطرس الرسول يقدم دموع توبته ، ومع القديس مرقس الإنجيلى يسجل خطأه أكثر مما سجله بقية الإنجيليين . وفى نفس الوقت يبرز جوانب طيبة فى النوتية الأمميين وإستعداداً فائقاً للملك الوثنى وكل شعبه لقبول محبة الله الفائقة لكل البشرية . فبينما يظهر النوتية الأمميون كرجال صلاة (١ : ٥) يصرخون إلى آلهتهم قبل أن يمارسوا خبرتهم البحرية كالقاء الأمتعة من السفينة إذا به يتحدث عن نفسه الإنسان الوحيد فى المركب يغط فى نوم عميق ، فيوقظه الله بكلمات الأمميين .

هذا الفكر الإنجيلى المتسع الذى يفتح أبواب الرجاء أمام الأمم ويعالج الأمور بغير تحيز لم يكن ممكاناً لكاتب يهودى أن يتقبله أو يسجله هكذا بوضوح وصراحة إلاّ من كان كيونان دخل إلى الموت فى جوف الحوت وتلامس مع الله الذى يقيم من الأموات أياً كانت جنسية هؤلاء الموتى !

رابعاً - من الجانب التاريخى قارن Winckler الإصلاحات الدينية للملك ارادنيرارى الثالث Adadnirari III (٨١٢ - ٧٨٣ ق . م) بإصلاحات الملك أمنوفيس الرابع فى مصر وقرر أن الأول « هو الملك الذى وجده يونان فى نينوى عندما ذهب إلى هناك ووجد تجاوباً ملكياً مع تعليمه (٦) » .

أقسـام السفـر :

+ + +



إن كان يونان قد هرب من الخدمة إلى يافا ليبحر إلى ترشيش فى عصيان الله ، الأمر الذى أثار البحر بنوء عظيم حتى لم يهدأ إلاَّ بالقائه فيه ، فمن جانب آخر فإن يونان يمثل السيد المسيح حامل خطايانا الذى ألقى بنفسه فى بحر حياتنا المضطرب ليهبنا سلاماً فائقاً خلال ذبيحة المصالحة .

١ ـ دعوة يونان	١ - ٢ .
٢ ـ هروبه إلى ترشيش	٣ .
٣ ـ يونان والنوء العظيم	٤ - ٧ .
٤ ـ يونان والنوتية	٨ - ١٢ .
٥ ـ يونان فى جوف الحوت	١٣ - ١٧ .

+ + +

١ ـ دعـوة يـونان :

« صار قول الرب إلى يونان بن أمتاى ، قائلاً : قم أذهب إلى نينوى المدينة العظيمة وناد عليها ، لأنه قد صعد شرهم أمامى » (ع ١ ، ٢) . وفى الترجمة السبعينية : « صعد صراخ شرهم أمامى » .

كانت الدعوة فريدة فى نوعها ، فهو النبى الوحيد الذى دُعى لخدمة مدينة أممية لا ليتنبأ عنها بالدمار وإنما ليدعوها للتوبة حتى لا يحل عليها الغضب الإلهى . ولم يكن ممكناً لهذا النبى أو غيره أن يتقبل مثل هذه الدعوة ليس لكراهية نحو الأمم وإنما لحبه لشعبه ، كما سبق فقلنا أن خلاص الأمم إنما يتحقق مع زلة إسرائيل ، وإيمان العالم خلال جحود الشعب القديم (رو ١١ : ١١) . على أى الأحوال ، إذ كان يونان غير قادر بفكره البشرى أن يتقبل الدعوة فهرب ، لكن الله الذى يرى نقاوة قلبه إستخدم حتى هروبة لتحقيق مقاصده الإلهية نحو الأمم .

جاء فى الترجمة السبعينية ، لأنه قد صعد صراخ شرهم أمامى » ، فإن كانت الحياة المقدسة تتجلى فى أكمل صورها فى السيد المسيح الذى لا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوتهَ (مت ١٢ : ١٩) ، فإن الحياة الشريرة تحمل فى أُذُنى الله صراخاً أو ضجيجاً لا تقبله السماء ولا يستريح له خالقها ، يكشف عن فقدان السلام الداخلى . لقد قتل قايين الشرير أخاه هابيل وصمت بفمه عن الحديث فى هذا الأمر لكن بصمات شره كانت تصرخ منطلقة خلال دم أخيه المسفوك ، إذ يقول الرب : « صوت دم أخيك صارخ إلىّ من الأرض » (تك ٤ : ١٠) ، كما قيل عن شر سدوم وعمورة : « صراخ سدوم وعمورة قد كثر» (تك ١٨ : ٢٠) .

لقد دُعى يونان ، الذى يعنى إسمه « حمامة » للكرازة فى نينوى المدينة العظيمة التى إرتفع صراخ شرها حتى السماء ، وكأن الله أراد أن يحطم صرخات الشر بوداعة الحمامة ، و يعالج الجراحات الملتهبة بالزيت اللين ، و يطفىء النار بالماء !

إن كان العالم قد تحول إلى ضجيج لا ينقطع وصرخات ظلم مرة فهو فى حاجة إلى الكنيسة أو المؤمن الحقيق الذى له العينان الحمامتان (نش ١ : ١٥ ؛ ٤ : ١) عينا السيد المسيح القائل : « تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب » (مت ١١ : ٢٩) ، عينا الروح القدس الحمامة الحقيقية ، لكى بالوداعة نرث الأرض (مت ٥ : ٥) لحساب السيد المسيح فتصير ملكوته المملوء فرحاً وسلاماً .

إن كان الأشرار أرضاً لا سماءً بسبب محبتهم للأرضيات وتعلقهم بالزمنيات ، فإذ تحمل فينا يونان الحقيق ، نكسبهم بوداعة روحه القدوس فلا يصيروا بعد أرضاً بل سماء . وكما يقول **القديس يوحنا كليماكوس** : [يجد الرب راحة فى القلوب الوديعة ، أما الروح المضطربة فهى كرسى الشيطان . الودعاء يرثون الأرض أو بالحرى يسيطرون عليها ، أما ذو الخلق الشرير فيطردون من أرضهم (٧)] .

إن كانت نينوى المدينة العظيمة تمثل الجسد الذى ترتفع صرخات شهواته الشريرية أمام الرب فليس من يقدر أن يرفع عنه هذه الصرخات إلاَّ يوناننا الحقيق الذى يملأ النفس و يقدس الجسد أيضاً .

٢ ـ هروبه إلى ترشيش :

« فقام يونان ليهرب إلى ترشيش من وجه الرب فنزل إلى يافا ووجد سفينة

ذاهبة إلى ترشيش فدفع آجرتها ونزل فيها ليذهب معهم إلى ترشيش من وجه الرب » (ع ٣) .

لماذا أراد يونان الهروب إلى ترشيش من وجه الرب عوض الذهاب إلى نينوى ؟

أولاً - يرى **القديس چيروم** أن يونان لم يحتمل الذهاب إلى نينوى فتخلص على حساب شعبه إسرائيل ، فعصى الرب لا عن كراهية فى القلب وإنما عن غيرة من جهة شعبه ، وكأنه يمتثل بموسى النبي الغيور فى قوله : « إن غفرت خطيتهم وإلاَّ فامحنى من كتابك الذى كتبت » (خر ٣٢ : ٣١ ، ٣٢) . فقد ظهر موسى كمن يقاوم الرب لكنه إقتنى مراحم الله لشعبه ولم يمح الله إسمه من كتابة : بنفس الروح يقول الرسول بولس : « أود لو كنت أنا نفسى محروماً من المسيح لأجل إخوتى أنسبائى حسب الجسد الذين هم إسرائيليون » (رو ٩ : ٣) . لقد إشتهى لو حرم هو نفسه لكى يحيا إخوته بالمسيح ، حاسباً موته ربحاً ؛ بهذا الحب لم يمت بل إستحق الحياة التى إشتهاها لهم . هكذا خشى يونان من كرازته للأشوريين أعداء إسرائيل هلاك إسرائيل نفسه ، فهرب إلى ترشيش ، أى إلى الإتجاه المضاد . يرى البعض أنها ترتيسوس الواقعة فى جنوب أسبانيا قرب جبل طارق (٨) ، أو قرطاجنة فى شمال غرب أفريقيا .

ثانياً - كلمة « ترشيش » كما يرى **القديس چيروم** تعنى « بحر» أو « تأمل فى الفرح » ، فإن كانت كلمة يافا (٩) بالكنعانية تعنى « جمال » ، فإن يونان عوض أن ينطلق بخلال وصية الله إلى الكرازة لنينوى بالخلاص إستحسن النزول إلى جمال فكره البشرى وحكمته الإنسانية أى إلى يافا ليلقى بنفسه فى ترشيش أى فى بحر هذا العالم أو فى التأملات المفرحة دون الجهاد الحق وحمل الصليب عملياً . هذا التصرف يمثل تصرفات الإنسان السالك حسب هواه لا حسب وصية الرب الصعبة .

ثالثاً - يونان النبي وهو يعرف أن الله « إله السماء الذى صنع البحر والبر» (١ ٩) ، وقد يشهد بذلك ، إذ يتكىء على فكره البشرى خارج الإيمان يندفع نحو الهروب من الله . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** : [حقاً لقد هرب من البر لكنه لم يهرب من غضب الله ! هرب من الأرض لكنه جلب على نفسه العواصف فى البحر (١٠)] . كان يليق به بالحرى لا أن يهرب من الله بل إلى الله ، ففيه وحده يجد المؤمن سلامه وآمانه !

٣ - يونان والنوء العظيم :

إن كان يونان قد هرب إلى البحر من صانع البحر نفسه لهذا إستدعاه الرب بلغة جديدة تليق به كهارب هى لغة الضيقات المتوالية ، إذ « **أرسل الرب ريحاً شديدة إلى البحر فحدث نوء عظيم فى البحر حتى كادت السفينة تنكسر** » (ع ٤) . صار الرب يحدثه بلغة الريح الشديدة والنوء العظيم والسفينة الفاقدة لاتزانها ، الأمور التى تناسب يونان وتكشف عما فى داخله من ريح عصيان عنيف ونوء إضطراب داخلى عظيم وسفينة قلبه غير المتزنة .

يقول **القديس چيروم** : [يشير هروب يونان إلى حال الإنسان بوجه عام فباحتقاره وصايا الرب هرب من وجهه وسلم نفسه للعالم فإشتد به نوء العالم ليغرق ، عندئذ إلتزم بالتأمل فى الله والرجوع إلى من هرب منه ... كانت السفينة فى خطر... والأمواج هائجة بواسطة الرياح ... فإنه متى كان الرب غير راضٍ لا يكون شىء فى آمان » .

سمع الغرباء صوت الله بالرغم من عدم معرفتهم له ، بينما تثقلت أُذنى يونان عن السماع ، إذ قيل : « **فخاف الملاحون وصرخوا كل واحد إلى إلهه ، وطرحوا الأمتعة التى فى السفينة إلى البحر ليخففوا عنهم ، وأما يونان فكان قد نزل إلى جوف السفينة وإضطجع ونام نوماً ثقيلاً** » (ع ٤ ، ٥) . كان الملاحون وثنيين ، ومعرفتهم عن الله يشوبها الكثير ، ومع ذلك إذ تحدث الله بلغة الشدة والضيق إمتلأوا خوفاً ولم يتصرفوا إلاَّ بعد أن صرخ كل واحد منهم إلى إلهه ، فكان الله بالنسبة لهم أولاً وقبل كل شىء بالرغم من عدم معرفتهم له .

يقول **القديس چيروم** : [لقد ظنوا أن السفينة بامتعتها الطبيعية ثقيلة جداً ولم يدركوا أن الثقل قائم بسبب النبى الهارب . لقد خاف الملاحون فصرخ كل واحد إلى إلهه ، إذ كانوا يجهلون الحق لكنهم لم يجهلوا العناية الإلهية . خلال تدينهم الخاطىء عرفوا شيئاً وادركوا بعض العمق الروحى ... أما إسرائيل فلم يستطع الوسع ولا الألم أن يقوداه إلى معرفة الله . لذلك بكى يشوع على الشعب كثيراً أما عيون الشعب فكانت جافة] .

كان الوثنيون يصرخون إلى آلهتهم ويلقون بأمتعتهم فى البحر ، كل واحد يصلى ويعمل قدر إستطاعته ، أما يونان وهو يدرك أنه سبب البلية فنزل إلى جوف السفينة لينام نوماً ثقيلاً ، وكأنه أراد ألا يرى أمواج غضب الله عليه ، أو كمن تناول مخدراً ليهرب من واقعه المؤلم .

إن كان نوم يونان يمثل نوعاً من الرخاوة ، لكنه فى نفس الوقت قدم لنا جانباً نبوياً طيباً ، فمن جهة كان يمثل البشرية المستريحة فى الرب وسط أمواج هذا العالم المضطرب . فعندما كان هيرودس مزمعاً أن يقدم الرسول بطرس ليقتله (أع ١٢ : ٦) ، كان بطرس يغط فى نوم عميق وهو مربوط بسلسلتين بين عسكريين فى السجن وتحت حراسة مشددة . ومن جانب آخر كان يونان يمثل السيد المسيح الذى نام على الصليب كما فى السفينة ليقيم حواء الجديدة من جنبه المطعون تنعم بالراحة الحقيقية فيه . لقد نام أيضاً على الصليب لكى يدفن فى بطن الحوت ليقوم واهباً إيانا قوة القيامة . وكما يقول القديس چيروم : [بينما كان الآخرون فى خطر إذا به فى آمان ينام ويقوم . وبناء على طلبه وبسر آلامه خلّص الذين أيقظوه (١١)] .

نعود إلى الملاحين ورئيسهم لنجدهم يتصرفون بحكمة فائقة مع لطف ووداعة ، إذ قيل : «**فجاء إليه رئيس النوتية وقال له : مالك نائماً ، قم أصرخ إلى إلهك عسى أن يفتكر الإله فينا فلا نهلك . وقال بعضهم لبعض : هلم نلقى قرعاً لنعرف بسبب من هذه البلية ، فألقوا القرعة فوقعت القرعة على يونان**» (ع ٦ ، ٧) .

إتسم رئيس النوتية بوداعة فائقة فى حديثه مع النبى الذى يغط نوماً فى وقت كان الكل فيه يصرخ ويصلى ويلقى بالأمتعة فى البحر... لقد تحدث برقة زائدة لم يجرح فيها مشاعره . حثة على الصلاة بلطف ، الأمر الذى لا نجده أحياناً فى المؤمنين بل وفى الرعاة أنفسهم ، إذ يفقدون سلامهم عند التوبيخ ويخسرون هدوءهم ليصلحوا من شأن الآخرين .

نقول أن الله الذى سبق فتحدث مع النبى ربما خلال رؤيا أو إعلان للعمل فى نينوى ، عاد ليحدثه خلال الطبيعة الثائرة ، وإذ سد أذنيه حدثه خلال الوثنيين ، قائلاً له : « مالك نائماً ، قم أصرخ إلى إلهك عسى أن يفتكر الإله فينا فلا نهلك » . وكأنه يقول : « مالك نائماً فى داخل قلبك ، فإن إلهك الذى تهرب منه يقدر أن يخلصنا نحن

الأمم من الهلاك . إن كنت تحب شعبك وأمتك فإنصت إلى توسلاتنا وتطلع إلى إشتياقنا ولا تستهن بإيماننا ، فإن كنا لم نعرف بعد الإله الذى تعبده ، لكننا بالإيمان نقبله فلا نهلك !) .

والعجيب أن البحارة ألقوا قرعة فكشف الله عن الحقيقة وأدركوا فى يونان علة غضب الله ... وكما يقول **القديس چيروم** إن كان الله أرشدهم خلال القرعة إنما يحدثهم خلال فكرهم ، فلا يبرر هذا إستخدامنا للقرعة . لقد أرشد الله بلعام خلال أتانه (عد ٢٢ : ٢٨) ، ليعلن له أن الحيوان الأعجم أدرك ما لم يدركه الإنسان فى شره ، وكما تحدث الله مع المجوس خلال النجم ، وكما سمح لقيافا أن يتنبأ وهو لا يعرف حين قال أنه ينبغى أن يموت واحد عن الشعب كله . على أى الأحوال إن كان يونان فى حبه لشعبه إستهان بخلاص الأمم فخلال القرعة كشف له الله أنه لا يحتقر أمياً ، إنما يحدثهم بلغتهم ويكشف لهم عن الحقيقة حتى خلال ممارستهم فما قدمته القرعة حمل توبيخاً إلهياً خفياً ليونان المستهين بخلاص الأمم !

٤ ـ يــونان والنــوتية :

« فقالوا له : أخبرنا بسبب من هذه المصيبة علينا ؟ ما هو عملك ؟ ومن أين أتيت ؟ وما هى أرضك ؟ ومن أى شعب أنت ؟ فقال لهم : أنا عبرانى وأنا خائف من الرب إله السماء الذى صنع البحر والبر » (ع ٨ ، ٩) .

وفى وسط التيارات العنيفة والنوء الشديد والخطر المحدق كنا نتوقع فى النوتية أن يفقدوا سلامهم وهدوءهم ، لكنهم أثبتوا أنهم حكماء ، فإذ رأوا فى يونان سراً صاروا يسألونه عن كل حياته بالتفصيل ... طالبين المعرفة الحقة . فكانت أسئلتهم توبيخاً لطيفاً إستخدمه الله لإصلاح يونان نفسه ، ففيما هم يسألون كان يليق بيونان أن يراجع نفسه فى تصرفاته . وكما قال **القديس چيروم** : [كان هدف القرعة أن يضغط النوتية عليه ليعترف بلسانه عن سبب هذا النوء وعلة غضب الله] . أى ليعترف بعصيانه للرب وهروبه من ذاك الذى خلق البحر والبر.

وقد جاءت الاسئلة بالنتيجة المرجوة إذ إعترف قائلاً : « أنا عبرانى ، وأنا خائف من الرب إله السماء الذى صنع البحر والبر» . وكما يقول **القديس چيروم** : [إنه لم

يقل « أنا عبرانى » قاصداً اللقب الخاص بشعبه الذى ينتمى إلى أحد أسباطه ، إنما قصد أنه عابر كإبراهيم . وكأنه يقول : أنا ضعيف وراحل كسائر آبائى ، وكما جاء فى المزمور: « عبروا من مدينة إلى أخرى ومن مملكة إلى شعب آخر» . إننى خائف من الرب إله السماء وليس من الآلهة التى تضرعون إليها العاجزة عن الخلاص . إننى أتضرع إلى إله السماء الذى صنع البحر والبر، البحر الذى أهرب إليه ، والبر الذى أهرب منه !] .

إعترف يونان بخطئه فتعرف البحارة على الله المخوف بحق ، إذ قيل « **فخاف الرجال خوفاً عظيماً ، وقالوا له : لماذا فعلت هذا ؟! فإن الرجال عرفوا أنه هارب من وجه الرب لأنه أخبرهم** » (ع ١٠) . أدركوا أنه إنسان مقدس هارب من الله القدوس لذا سألوه لا توبيخاً له وإنما كما يقول **القديس چيروم** إستفساراً عن سر تصرفه .

بعد تمتعهم بمعرفة الله سألوا يونان : « **ماذا نصنع بك ليسكن البحر عنا ؟ لأن البحر كان يزداد إضطراباً** (ع ١١) .

يقول **القديس چيروم** : [كأنهم يقولون : إنك تقول بأنه بسببك صار الريح والأمواج والبحر فى هياج . لقد كشفت لنا عن سبب المرض فافصح عن الدواء . هوذا البحر يرتفع ضدنا ، وعرفنا أننا صرنا موضع غضب لأننا أخذناك . أخطأنا إذ إستضفناك ، فماذا نفعل حتى يسكن غضب الله علينا ؟ ماذا نفعل بك ؟ هل نقتلك ؟ لكنك من مؤمنى الرب ! هل نحتفظ بك ؟ إنك هارب من الله ! الآن ليس لنا إلاَّ أن ننفذ أمرك ، فلتأمر حتى يهدأ البحر ، فإن إضطرابه يشهد عن غضب الخالق ... لا يمكن التأجيل بعد ، أمام إنتقام الخالق ؟] .

« **فقال لهم : خذونى واطرحونى فى البحر فيسكن البحر عنكم ، لأنى عالم أنه بسببى هذا النوء العظيم عليكم** » (ع ١٢) .

قدم يونان العلاج وهو طرحه فى البحر الهائج فيسكن النوء العظيم ، فقد كان هذا النوء بسبب عصيانه للرب فلا يهدأ إلاَّ بإلقائه فى المياه لتوبته ، ومن ناحية أخرى فإن يونان كممثل السيد المسيح حامل خطايا العالم كان لا بد أن يُلقى به على الصليب و يُسلم للقبر ليتنعم المؤمنون به بالمصالحة مع الآب و يدخلون إلى سلامه الأبدى .

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** : [توقع يونان أن يهرب بواسطة السفينة ، فإذا بالسفينة تكون له قيوداً (١٢)] . ظن أنه قادر على الهرب من إله البحر خلال سفينة فأمسك به وسط المياه الثائرة داخل السفينة ليحصره وسط الضيق و يدخل به إلى التوبة . إستخدم الله ذات الوسيلة التى ظنها يونان لهربه من يد الله لكى يمسك به و يرده إليه . ما أجمل العبارة التى قالها **القديس يوحنا الذهبي الفم** : [لم تكن هناك حاجة إلى أيام كثيرة ولا إلى نصائح مستمرة لكن فى بساطة نقول كانت الحاجة أن يقوده كل شيء إلى التوبة (أى يستخدم الله كل الظروف لخلاصه) . فالله لم يقده من السفينة إلى المدينة مباشرة ، وإنما سلمه البحارة للبحر ، والبحر للحوت ، والحوت لله ، والله لأهل نينوى ، وخلال هذه الدائرة الطويلة ردّ الشارد حتى يعرف الكل أنه لن يمكن الهروب من يد الله (١٣)] .

يعلق **القديس چيروم** على الكلمات التى نطق بها يونان مع البحارة ، قائلاً : [إن هذا النوء يبحث عنى ، يهددكم بالغرق لكى تمسكوا بى وبموتى تحيون ! إننى أعرف بالحقيقية أن هذا النوء العظيم هو بسببي ... هوذا الأمواج تأمركم أن تلقونى فى البحر فتجدون هدوءاً ... لنلاحظ هنا عظمة الهارب فإنه لا يراوغ ولا يكتم الأمر ولا ينكر بعدما إعترف بهروبه من الله ، وإنما يتقبل العقاب بقلب متسع . يريد أن يموت ولا يتحطم الآخرون بسببه] .

وللقديس چيروم أيضاً تعليق جميل على كلمات يونان هذه بكونها نبوة عن عمل السيد المسيح - يوناننا الحقيق - الذى قَبلَ أن يموت ليفدى الشعب كله ، إذ يقول : [يوناننا يقول : إننى بالحقيقة أعرف أن هذا النوء العظيم عليكم هو بسببي ، فإذ ترانى الرياح مبحراً معكم إلى ترشيش أى إلى « التأمل المفرح » ، أقودكم إلى المجد ، حتى حيث أوجد أنا هناك تكونون أنتم أيضاً عند الآب ، لهذا يحدث غضب . العالم يبكى والطبيعة تضطرب ! الموت يريد أن يبتلعنى لكى يقتلكم فى نفس الوقت وهو لا يدرك أنه يأخذنى كطعم ، فبموتى يموت هو! خذونى إذن واطرحونى فى البحر !] .

٥ - يونان فى جوف الحوت :

« لكن الرجال جذفوا ليرجعوا السفينة إلى البر فلم يستطيعوا ، لأن البحر كان يزداد إضطراباً عليهم . فصرخوا إلى الرب وقالوا : آه يارب ، لا نهلك من

أجل نفس هذا الرجل ، ولا تجعل علينا دماً برئياً لأنك يارب فعلت كما أمرت » (ع ١٣ ، ١٤) .

أبرز هذا السفر فى بساطة الجوانب الطيبة لهؤلاء الأمميين ، فى البداية لم يلقوا بأمتعتهم ولا تصرفوا بحسب خبرتهم كبحارة إلاً بعد أن صرخ كل واحد إلى إلهه ، فوضعوا آلهتهم أولاً قبل خبرتهم الأمر الذى يتجاهله كثير من المؤمنين . مرة أخرى حين ألقوا القرعة ووقعت على يونان لم يجرحوا مشاعره بكلمة ولا أهانوه بالرغم من الخسائر الكثيرة التى لحقت بهم بسببه ، وحتى عندما إعترف بخطئه وأشار إليهم بطرحه فى البحر حاولوا إنقاذه بكل وسيلة ، وإذ فشلوا تماماً وادركوا أنها مشئية الله أن يطرحوه فى البحر كانوا فى رعدة يخشون غضب الله ، و يسألونه ألا يسمح بهلاكهم من أجل نفس هذا الرجل ! ألم تكن هذه التصرفات المملوءة حباً ورقة وحكمة كافية لتوبيخ يونان الذى دعاه الرب لخلاص الأمم فى نينوى فهرب ! لقد قدم له عينة من الأمميين يفوقون المؤمنين أنفسهم . لو قورنوا باليهود الذين لهم الشريعة ومعهم النبوات ورأوا أعمال المسيح العجيبة وشهادة السماء والأرض والبحر وكل خليقة له ، حتى بيلاطس الأممى غسل يديه أمامهم ومع ذلك صرخوا : « دمه علينا وعلى أولادنا » ، ألا يحسبون أفضل منهم ؟!

يعلق **القديس چيروم** على تصرفات الملاحين ، قائلاً :

[كانوا يريدون أن يسحبوا المجداف ويهزموا الطبيعة حتى لا يفضحوا نبى الرب... ظنوا أنهم قادرون أن يخلصوا السفينة من الخطر ولم يضعوا فى إعتبارهم الدور الذى يقوم به يونان أنه يجب أن يتألم] .

[عظيم هو إيمان الملاحين ، فقد كانوا فى خطر ومع هذا كانوا يصلون من أجل حياة الغير . عرفوا جيداً أن الموت الروحى أبشع من الموت الطبيعى ، إذ قالوا : « لا تجعل علينا دماً برئياً » . يجعلون الله نفسه شاهداً حتى لا يتهمهم فيما لا يستطيعون عليه ، وكأنهم يقولون له : لا نريد أن نقتل نبيك إنما هو أعلن عن غضبك عليه ، والنوء أكد إرادتك يارب ، هذه التى نحن نتممها بأيدينا] .

[بينما لا يود الأمم موت المسيح مؤكدين أنه دم برىء (مت ٢٧ : ٢٥) إذا

باليهود يقولون : « دمه علينا وعلى أولادنا » ، لهذا متى رفعوا أيديهم نحو السماء لا يُستجاب لهم ، لأن أيديهم مملوءة دماً] .

« ثم أخذوا يونان وطرحوه فى البحر فوقف البحر عن هيجانه » (ع ١٥)

يقول **القديس چيروم** : [لم يقل « أمسكوه » أو « إنقضوا عليه » بل « أخذوه » كمن حملوه باحترام وإكرام ، وطرحوه فى البحر مسلماً نفسه بين أيديهم بلا مقاومة ، عندئذ وقف البحر عن هيجانه ، إذ وجد من كان يبحث عنه . عندما نقتفى أثر شارد نجرى وراءه بكل قدرات أرجلنا ، وإذا تمسك به نتوقف بالغنيمة . هكذا كان البحر هائجاً بدون يونان ، وإذ أُخذ فى أعماقه من كان يشتهيه إبتهج بأخذه إياه وعيّد له وهدأ فرحاً] .

يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** فى إلقاء يونان العاصى فى البحر إشارة إلى طرد الخطية من سفينة حياتنا ليعود إلينا سلامنا الحق الذى نزعته آثامنا ، إذ يقول : [إضطربت المدينة بسبب خطايا أهل نينوى ، وإضطربت السفينة بسبب عصيان النبى . لذلك ألقى البحارة يونان فى العمق فحفظت السفينة . لنلق نحن أيضاً خطايانا فتبقى مدينتنا فى آمان أكيد ! (١٤)] .

و يرى **القديس چيروم** فى إلقاء يونان فى البحر إشارة إلى آلام السيد المسيح ، التى نزعت عن بحرنا هياجه ، وخلصت السفينة ومن بها من الخطر . خلال آلام السيد المسيح إمتلأ العالم سلاماً داخلياً فائقاً !

فخاف الرجال من الرب خوفاً عظيماً وذبحوا ذبيحة للرب ونذروا نذوراً » (ع ١٦) .

إذ أُلقى يونان فى البحر أى إحتمل السيد المسيح الآلام حتى الموت خلصنا من العبادات الوثنية القديمة ، واهباً إيانا مخافته العظيمة وتقديم ذبيحته الكفارية الفريدة وايفاء نذورنا للرب أى تكريس حياتنا له تماماً .

يقول **القديس چيروم** : [عندما مات يونان الهارب فى البحر خلصت السفينة التى هزتها الرياح وخلص عابدو الأوثان] . كما يقول : [قبل آلام الرب تضرعوا إلى آلهتهم تحت تأثير الخوف (١ : ١٠) ، أما بعد الآلام فخافوه بمعنى عبدوه ومجدوه ... لقد

خافوه خوفاً عظيماً أى من كل النفس ومن كل القلب ومن كل الفكر (تث ٦ : ٥ ؛ مت ٢٢ : ٣٧) . وذبحوا ذبيحة ؛ بالتأكيد لا تعنى المعنى الحرفى ، إذ لا توجد ذبائح فى البحر ، لكن ذبيحة الرب إنما هى الروح الأصيل ، وكما قيل : « قدموا للرب ذبيحة الحمد ، أوف للعلى نذورك » (مز ٤٩ : ١٤)] ...

إذن بطرح يونان فى البحر أو دخول السيد إلى آلامه حلّ علينا روح المخافة الإلهية ، وصار لنا حق تقديم ذبيحته المقدسة ، وإيفاء نذورنا له !

« وأما الرب فأعد حوتاً عظيماً ليبتلع يونان ، فكان يونان فى جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ » (ع ١٧) .

لم تسر الأمور بلا تدبير أو تخطيط إلهى ، لكن الله الذى أرسل الريح الشديدة فحدث نوء عظيم يعلن غضب الله على العصيان هو الذى أرسل سمكة ضخمة بجوار السفينة تبتلع يونان لتهبه مبيتاً آمناً لا موتاً ، تكشف له عن رعاية الله به ، يقول **القديس چيروم** : [أظهر الرب غضبه حين كان يونان فى السفينة ، وأظهر فرحه حين دخل إلى الموت] ، معللا ذلك بأنه يمثل السيد المسيح الذى أمات الموت بموته . حقاً لقد ظهر يونان كضحية للموت يبتلعه الجحيم ، لكن لم يستطيع أن يحتمله فى داخله أكثر من ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ بل قذفه من جوفه ، ليقول النبى : « أين أباؤك ياموت ؟! أين شوكتك يا هاوية ؟! » (هو ١٣ : ١٤) .

لقد أكد السيد المسيح ما حدث ليونان فى جوف الحوت كرمز لما حدث مع السيد نفسه ، بقوله : « لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ هكذا يكون إبن الإنسان فى قلب الأرض ثلاث أيام وثلاث ليالٍ » (مت ١٢ : ٤٠) .

كيف بقى السيد المسيح فى الأرض هذه المدة ؟

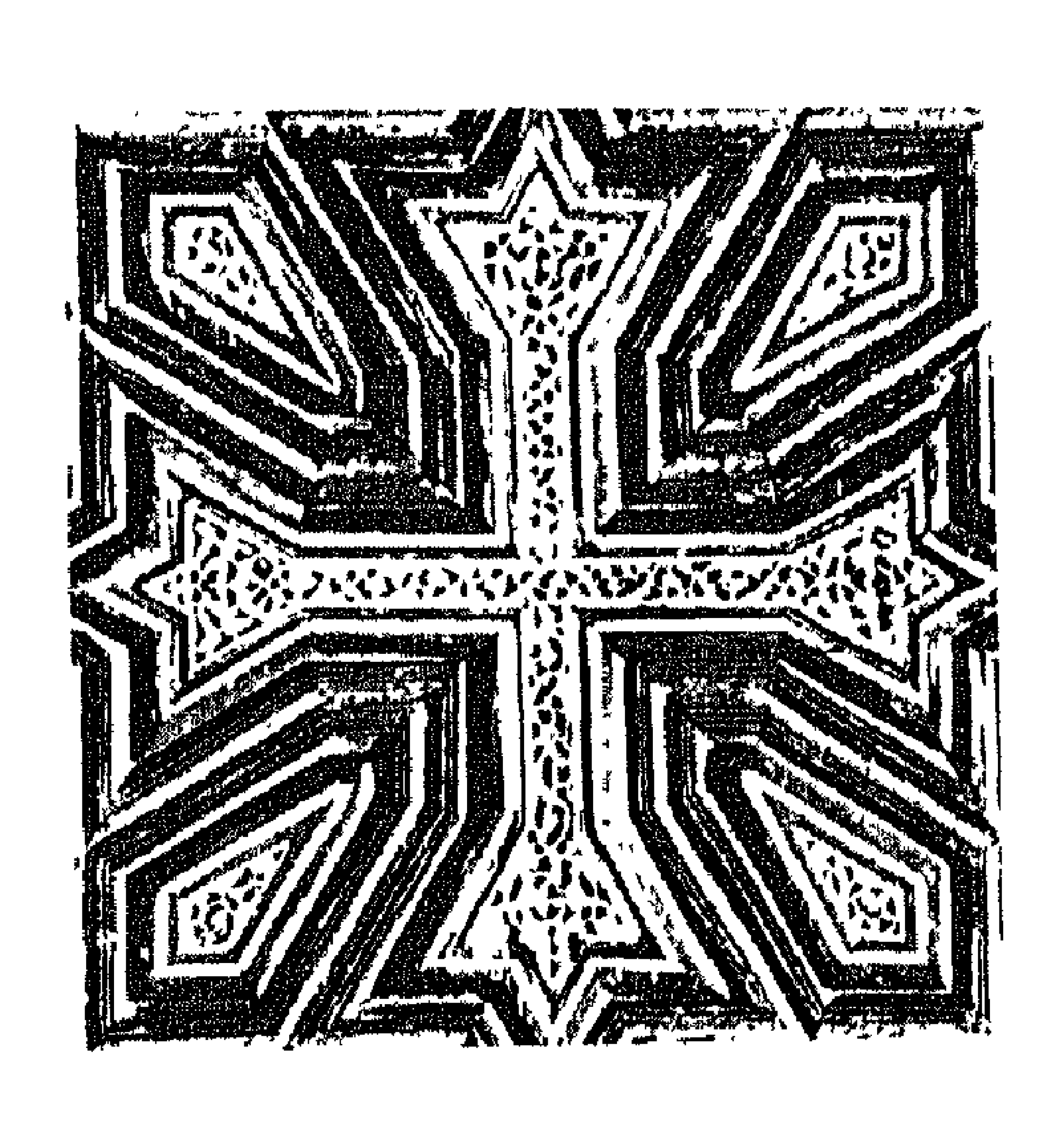
أولاً - يرى **القديس چيروم** أن اليهود يحسبون الجزء من اليوم كيوم كامل ، فتحسب مدة الموت للسيد المسيح من الجمعة حتى الأحد ، وإن كان قد مات فى نهاية الجمعة وقام فى فجر الأحد . ويرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** أنه لو بقى السيد حتى نهاية يوم الأحد لكان الجند قد تركوا القبر وصدق اليهود أن خبر القيامة من صنع التلاميذ إفتعلوه بد ترك الجند للموقع ، لذا قام والجند يحرسون القبر.

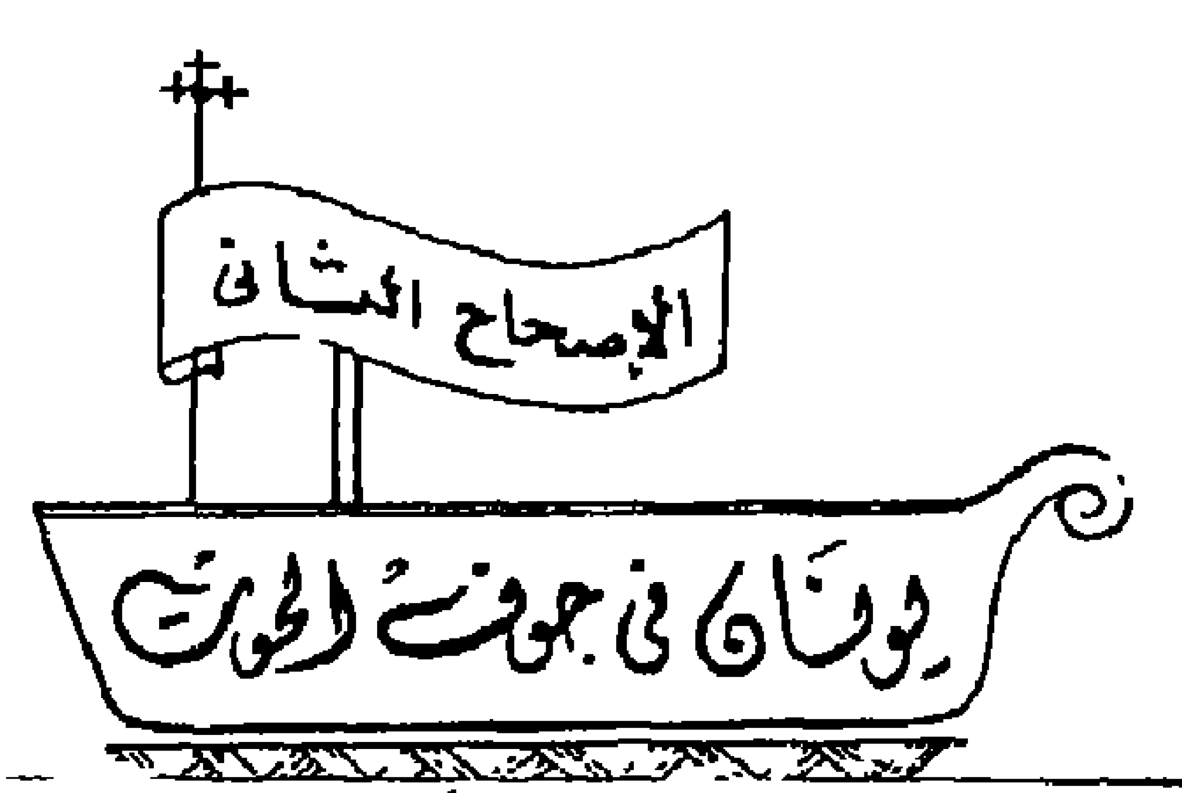
ثانياً - يقدم **القديس چيروم** رأياً كان له من ينادى به هو إعتبار ساعات الظلمة على الصليب ليلاً جديداً فريداً فى نوعه .

ثالثاً - يحسب البعض مدة الدفن منذ اللحظة التى سلم فيها السيد جسده المبذول فى أحشاء تلاميذه فى العشاء الأخير، كمن هو مدفون فى الأرض البشرية ليقيمها معه سماء ًله بقيامته فى فجر الأحد .

على أى الأحوال لقد دفن السيد ثلاثة أيام وقام ، هذه هى الحقيقة التى شهدها التلاميذ وأكدها الرب ببراهين كثيرة لنعيشها كسر قيامتنا اليومية وغلبتنا على الموت والجحيم !

هذا وقد إستخدم يونان بدخوله إلى الموت وخروجه كدليل حتّى على قيامة الجسد فى اليوم الأخير(١٥) .





فى جوف الحوت يدخل يونان إلى الموت ليكتشف سر قيامة السيد المسيح الغالبة للموت ، فيقدم لنا أروع تسبحة حمد تعبر عن عمل السيد المسيح الخلاصى فى لحظات موته على الصليب ودفنه فى القبر. لذا تتغنى بها الكنيسة فى بدء الساعة الثانية عشر من الجمعة العظيمة بعد أن تنشد بلحن الحزن مراثى أرميا ... فإن كانت المراثى تعلن عن مرارة ما فعلته خطايانا بالسيد ، فتسبحة يونان ترفع الحجاب لتكشف عن نصرة الرب على الجحيم وعمله الكفارى الذى يرفع المؤمنين إلى المقدسات السماوية بفرح مجيد لا ينطق به .

+ + +

١ ـ صلاته فى الجوف :

من منا يستطيع أن يعبر عن الضيق الذى دخل إليه يونان ؟! فى جوف الحوت إنحصر يونان فى الضيق كما فى قبر، ماتت فيه أفكاره الذاتية وقدارته وإمكانياته ، لا يعرف ماذا يفعل ، ولا يقدر أن يتوقع ماذا يحل به . يطفو الحوت على المياه فيتنسم يونان هواء و يرى بصيصاً من النور، ينزل به وسط المياه فيجد نفسه فى ظلام دامس . يفتح الحوت فمه فيغرق يونان فى مياه مالحة ، يُخرج الحوت الماء ليسترد يونان أنفاسه . هكذا عاش يونان أياماً قليلة ، لولا رعاية الله له وإنعاماته عليه لصارت كل ثانية منها تمثل جبلاً ثقيلاً يحطم نفسه ، وصار الموت بالنسبة له شهوة .

على أى الأحوال فى الضيق إلتحم يونان بالسيد المدفون فى القبر خلال الرمز

والظل ، فإنطلق بقلبه وفكره لا إلى خارج الحوت إنما إلى ما فوق المكان ، إرتفع إلى الله يصلى كمن هو فى مقدس سماوى ، إذ قيل : « **فصلى يونان إلى الرب إلهه من جوف الحوت** » (ع ١) .

قبلاً كان يسمى الرب « إله السماء » (١ : ٩) ، أما فى الضيق فيقال « الرب إلهه » ... فيُنسب الرب ليونان بكونه إلهه . هو إله المتضايقين والمتألمين ، كأنما يترك سمواته و ينزل إلى يونان يسنده فى ضيقته ، أو بمعنى آخر يحول حياته إلى سماء يسكنها الرب إلهه فيدعى إلهه أى إله السموات التى يسكنها . إلهنا إله يونان المتألم حامل الصليب ، إله كل إنسان مرّ النفس ، يدخل إليه ليقال عنه « إله السماء » ... إذ يجعل من حاملى الصليب سموات مقدسة .

قدم لنا يونان صلاته الرائعة ، بل تسبحته النبوية الفريدة لا فى لحظات الوسع ، ولا فى داخل مبنى الهيكل كمعلم ، إنما وسط الآلام كمن هو فى قبر السيد المسيح المصلوب . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [ليتنا لا نهتم بالمكان وإنما برب المكان ، فقد كان يونان فى جوف الحوت وإستمع الرب لصلاته . وأنت إن كنت حتى فى الحمامات فصلِ . أينما وجدت صلِ ؛ لا تطلب المكان لتصلى فيه ، فإن نفسك هى هيكل (١٦)] .

إن كانت الكنيسة تهتم حتى بالمبنى ليكون أيقونة للسماء إنما لكى نحمل سمات السماء فينا ، فنتطلع إلى المبنى الروحى الداخلى ، وترتفع أنظارنا إلى المقدسات التى يقيمها الروح القدس فينا خاصة فى لحظات الضيق والألم !

الضيق هو الجلجثة التى فيها ننعم بالصلب مع ربنا يسوع ، لننطلق به إلى أمجاده ونوجد معه وفيه فى أحضان الآب السماوى بروحه القدوس .

٢ - بين الجحيم والسموات :

« دعوت من ضيق الرب فاستجابنى ، صرخت من جوف الهاوية فسمعت صوتى » (ع ٢) .

إذ طُرح يونان فى المياه المالحة دخل إلى جوف الحوت لا ليرى الموت بعينيه وإنما

ليشاهد خلال الظل السيد المسيح نفسه وقد إنطرح إلى الضيق معنا وعنا ، حتى إذ يصرخ بحياته التى بلا عيب يستجيب له الآب فيرفعنا معه فوق الضيق . نزل إلى إنحطاطنا ذاك الذى بلا عيب لكى نصير فيه موضع سرور الآب ، يسمع لنا فى ضيقتنا و يرفعنا إليه . وكما يقول **القديس چيروم :** [لقد نزل الرب ، من أجلنا إنتضع ، لكى نصعد نحن فى آمان و بثقة (١٧)] .

لقد دعى يونان الرب فى ضيقته وتمتع بالإستجابة فوراً إذ رأى نفسه صاعداً لا من جوف الحوت بل من جوف الجحيم فى المسيح يسوع المصلوب ! هنا يتحدث بصيغة الماضى لا المستقبل « إستجابنى ، سمعت صوتى » ، صيغة التمتع الحقيق خلال الرمز وصيغة اليقين الذى لا يحمل شكاً .

حمل أرميا النبى ذات المشاعر وأدرك ذات المفاهيم عندما ألقى فى الجب ، إذ قال : « دعوت بإسمك يارب من الجب الأسفل ، لصوتى سمعت لا تستر أُذنك عن زفرتى عن صياحى » (مرا ٣ : ٥٥ ، ٥٦) .

« لأنك طرحتنى فى العمق فى قلب البحار ، فأحاط بى نهر » (ع ٣) .

أدرك يونان أن الله هو الذى طرحه فى العمق فى قلب البحار وليس الملاحون ، ولكن العجب أنه إذ نزل حتى الأعماق لم يجد نفسه تحت ثقل ضغط مياه البحار ومخاطرها إنما وجد نفسه وقد أحاط بها نهر مقدس يرويها و يبهجها بالثمر الروحى المتكاثر ، هذا الذى قيل عنه فى المزمور : « نهر سواقيه تفرح مدينة الله » (مز ٤٦ : ٤) . فى وسط الضيقة المرة « عند كثرة همومى فى داخلى تعزياتك تلذذ نفسى » ، عوض المياه المرة المالحة يصير لى مياه النهر الحلوة ، وعوض ثقل المياه علىَّ تصير المياه محيطة بى للبهجة والفرح .

ما هو قلب البحار الذى إنطرح فيه يونان إلى أعماق الصليب المر الذى دخل إليه السيد المسيح كذبيحة كفارية عن العالم كله ، خلالها فجـّر مياه المعمودية العذبة واهبة الحياة فأحط به ـ أى بكنيسته التى هى جسده نهر ، هو نهر المعمودية أو مياه الأردن . سحب هذا المنظر قلوب الأنبياء ، فيقول حزقيال النبى عن كنيسة العهد الجديد أو الهيكل الجديد : « ثم أرجعنى إلى مدخل البيت وإذا بمياه تخرج من تحت عتبه البيت نحو المشرق ... والمياه نازلة من تحت جانب البيت الأيمن عن جنوب المذبح ...

وإذا بنهر لم أستطع عبوره لأن المياه طمت ، مياه سباحة ، نهر لا يُعبر... هذه المياه تأتى إلى هناك فتشفى ، ويحيا كل ما يأتى النهر إليه ... وعلى النهر ينبت على شاطئه من هنا ومن هناك كل شجر للأكل لا يذبل ورقه ولا ينقطع ثمره ، كل شهر يبكر لأن مياهه خارجة من المقدس و يكون ثمره للأكل وورقه للدواء » (حز ٤٧) (١٨) .

لقد طرحت خطايانا السيد المسيح فى محبته لنا إلى قلب البحار ليحمل عنا الغضب الإلهى خلال الصليب ، محولاً ملوحة البحار إلى عذبوة الأنهار ، فيهبنا فيه خلال الصليب ذاته نهر روحه القدوس الذى يروى نفوسنا ويهبها ثماراً ويمنحها شفاءً ! هكذا حمل الصليب صورتين متكاملتين : صورة غضب الله عن الخطية التى كلفت السيد حياته ، وصورة حب الله الفائق التى فجرت بينابيع نعمه الفائقة .

يقول **القديس چيروم** : [بالنسبة للمخلص الرب جاءت الصورة فى المزمور : « غرقت فى حمأة عميقة وليس مقر ، دخلت إلى أعماق المياه والسيل غمرنى » (مز ٦٩ : ٣) ، كما قيل عنه فى مزمور آخر : « لكنك رفضت ورذلت ، غضبت على مسيحك ، نقضت عهد عبدك ، نجست تاجه فى التراب ، هدمت كل جدرانه » (مز ٨٩ : ٣٩)... ومع أنه صار فى مياه مالحة إذ جُرب فى كل شىء لكنها ليست مالحة (مرة) بالنسبة له فقد أحاط به نهر كما قيل فى موضع آخر : « نهر سواقيه تفرح مدينة الله » (مز ٤٦ : ٤)] .

يحدثنا **القديس أمبروسيوس** عن هذا النهر الذى يحيط بنا بكونه الروح القدس الذى يروى أورشليم السماوية الذى أفاضى على الكنيسة بالمسيح يسوع المصلوب . [الروح القدس هو النهر ، النهر الوفير ، النهر العظيم الذى يفيض دوماً بلا إنقطاع ... فإن أورشليم السماوية لا ترتوى بنهر أرضى بل بالروح القدس (١٩)] .

خلال الصليب تمتعنا بنهر العهد الجديد عوض بئر العهد القديم . وكما يقول **القديس أمبروسيوس** : [العهد الجديد بئر عميق تُسحب منه المياه بالجهد ، لم تكن مملوءة بالكامل ، إنما جاء بعد ذلك القائل : « ما جئت لأنقض (الناموس) بل لأكمل » (مت ٥ : ١٧) ... أما العهد الجديد فليس بنهر فحسب وإنما « تجرى من بطنه أنهار ماء حىّ » (يو ٧ : ٣٨) ، أنهار فهم ، أنهار تأمل ، أنهار روحية (٢٠)] . هكذا إذ يجلس الرب معنا عند البئر كما مع السامرية فى وقت الظهيرة أى فى لحظات

الصليب يفجر فينا ينابيع مياهه كأنهر حية مفرحة .

يكمل النبي تسبحته على لسان السيد المسيح ، قائلاً : « **جازت من فوق جميع تياراتك ولججك** » (ع ٣) . و يعلق **القديس چيروم** على هذه العبارة ، قائلاً : [لنبحث كيف جازت التيارات وللجج فوق المخلص ... إذ لا يوجد من يقدر أن يحتمل كل التجارب إلاَّ ذاك الذى جُرب فى كل شىء ... كل الضيقات والأتعاب التى جعلت الجنس البشرى يضطرب والتى تكسر كل السفن ، جازت على رأسه ... لقد إحتمل العاصفة وكل إضطراب حتى يصير الآخرون فى هدوء !] .

إن كانت اللجج تشير إلى أحكام الله كما يقول **القديس كيرلس الكبير**، فقد حمل السيد كل أحكام الله ضدنا عليه . إنهارت كل الأحكام عليه لتُوفى فى جسده ، وكما يقول المرتل : « غمر ينادى غمراً عند صوت ميازيبك ، كل تياراتك ولججك طمّت علىَّ » (مز ٤٢ : ٧) . بهذا ظهر السيد المسيح موفى الدين كمن هو مطرود من عينىّ الأب مع أنه الشفيع الذى يحمل شعبه إلى المقدسات السماوية . لذلك يكمل النبي حديثه : « **فقلت قد طردت من عينيك ، لكننى أعود أنظر إلى هيكل قدسك** » (ع ٤) .

إنها صورة واقعية للصليب ؛ من جانب ظهر المخلص كمطرود ، يصرخ قائلاً : « إلهى إلهى لماذا تركتنى » (مت ٢٧ : ٤٦) . ومن جانب آخر يحمل البشرية فى جسده لكى تتمجد معه . وكما يقول **القديس چيروم** : [صار الرب كمن هو فى موقفك (مطروداً) ... حتى يرفع البشرية لتكون معه حيث يكون هو (يو ١٧ : ٢)] . إنه يمارس عمله كرئيس للكهنة الأعظم يدخل إلى هيكل قدسه السماوى حاملاً كنيسته إلى السماويات عينها ، كقول الرسول : « لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقة بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا » (عب ٩ : ٢٤) . ففيما هو مطرود من أجلنا يحملنا فيه لنكون موضع رضى الآب وسروره .

لم يكن يونان بالكاهن ليدخل القدس ولا رئيس الكهنة لينعم برؤية قدس الأقداس مرة واحدة كل سنة ، لكنه فى أعماق البحر إذ صار كمطرود حُسب رمزاً للسيد المسيح المطرود والداخل إلى مقدساته السماوية ، وكما يقول **القديس چيروم** :

[فى أعماق البحر يرى هيكل الرب ، وبروح النبوة وجد نفسه هناك يتأمل شيئاً آخر] .

« قد أكتنفنى مياه إلى النفس ، أحاط بى غمر ، ثم أصعدت من الوحدة حياتى أيها الرب إلهى » (ع ٥ ، ٦) .

لقد نزل السيد المسيح إلى الجحيم فصار كمن إكتنفته المياه إلى النفس ، لكن لم تستطع المياه أن تبتلعه بل يحرر الذين أسرتهم المياه وأغرقتهم . نزل إلى أعماق المياه ليصعد معه الغارقين فيها ، وكما يقول الرسول : « أما أنه صعد فما هو إلاَّ أنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى ، الذى نزل هو الذى صعد أيضاً فوق جميع السموات لكى يملأ الكل » (أف ٤ : ٩ ، ١٠) .

يرى **القديس أغسطينوس** ([٢١]) فى المياه التى إكتنفت السيد المسيح إلى النفس تعبيراً عما حدث عند الصليب ، فقد هاج الكل عليه كأمواج البحر وفى إتضاعه خضع بإرادته لأجلنا ، قائلا : « دخلت إلى أعماق المياه والسيل غمرنى » (مز ٦٩ : ٢) . لم يقاوم الكلمات العنيفة ولا التصرفات القاسية بل فى صبر إحتملها » وأطاع حتى الموت موت الصليب » (فى ٢ : ٨) .

المخلص الذى سار على المياه (مت ١٤ : ٢٦) ، إنحنى بنفسه للمياه حتى تكتنفه إلى حين وتحيط به ، فيحمل مؤمنيه على المياه خلال سفينة صليبه و ينطلق بهم إلى ميناء أورشليم السماو ية بأمان .

مرة أخرى يقول : **« حين أعيت فىَّ نفسى ذكرت الرب ، فجاءت إليك صلاتى إلى هيكل قدسك »** (ع ٧) . فقد يونان كل رجاء فى ذراع بشرى للخلاص إذ صار كمن قبض عليه فى جوف الحوت ، ليس من يخلصه سوى الرب ، لذلك يقول : « ذكرت الرب » . وكأنه بالمرتل القائل : « أبى وأمى قد تركانى والرب ضمنى » . وكما يقول **القديس چيروم :** [وجدت نفسى قد أُغلق عليها فى أحشاء الحوت فصار رجائى كله فى الرب] .

هذه العبارة أيضاً تنطبق على يونانا المتألم الذى صرخ بالجسد : « نفسى حزينة جداً حتى الموت » (مت ٢٦ : ٣٨) ، « يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس »

(مت ٢٦ : ٣٩) . هذا الثقل الذى إحتمله السيد لأجلنا إنما لكى يمارس عمله الكهنوتى خلال ذبيحته الكفارية فيطلب من الآب عنا : « جاءت إليك صلاتى إلى هيكل قدسك » ، وكما يقول **القديس چيروم** : [إنه ككاهن يترجى تحرير الشعب فى جسده] .

٣ - يونان المسبّح :

« الذين يراعون أباطيل كاذبة يتركون نعمتهم ، أما أنا فبصوت الحمد أذبح لك وأوفى بما نذرته ، الرب للخلاص » (ع ٨ ، ٩) .

عند الصليب ظهر الذين يراعون أباطيل كاذبة ، هؤلاء الذين ساروا وراء أباطيل الفريسيين فصاروا محرومين من الرب نفسه « نعمتهم » . حرموا من المسيح مخلصهم فصاروا أشبه بتسبحة شيطانية لا تعلن إلاّ كلمات الكذب والتجديف . أما السيد المسيح المفترى عليه فقدم نفسه تسبحة حمد للآب ، وذبيحة شكر له .

إن كان يونان قد قدم ذبيحة حمد لله فى جوف الحوت إنما كرمز للسيد المسيح الذى رأى الكل قد تكاتف ضده ، وفى محبة أوفى نذره للآب بتقديم حياته فدية عن كثيرين ، حتى عن مضايقيه أنفسهم !

بالمسيح يسوع الذبيح تتحول حياتنا كلها إلى قيثارة فى يد الروح القدس تنشد سيمفونية حمد وشكر للآب ، ليس بأفواهنا فحسب وإنما خلال كل تصرفاتنا ! إن كان يونان قد صار مرنماً فى جوف الحوت إنما ليعلن ما يعمله السيد المسيح فينا خلال آلامه ، إذ يخلق فينا طبيعة الشكر التى تمس كل كياننا عوض الجحود الذى أفسد حياتنا .

٤ - يـونان الحـيّ :

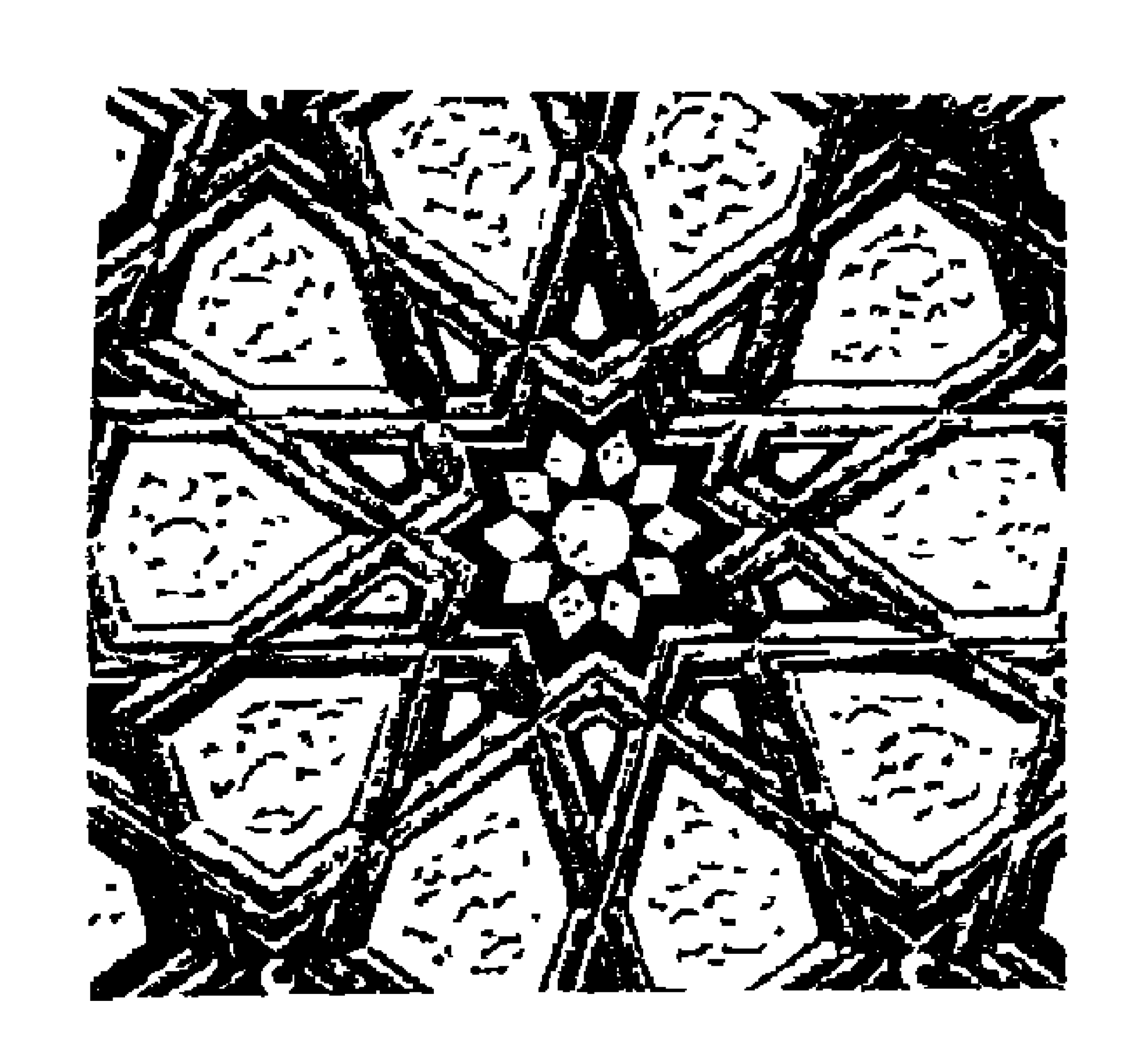
« وأمر الرب الحوت فقذف يونان إلى البر » (ع ١٠) .

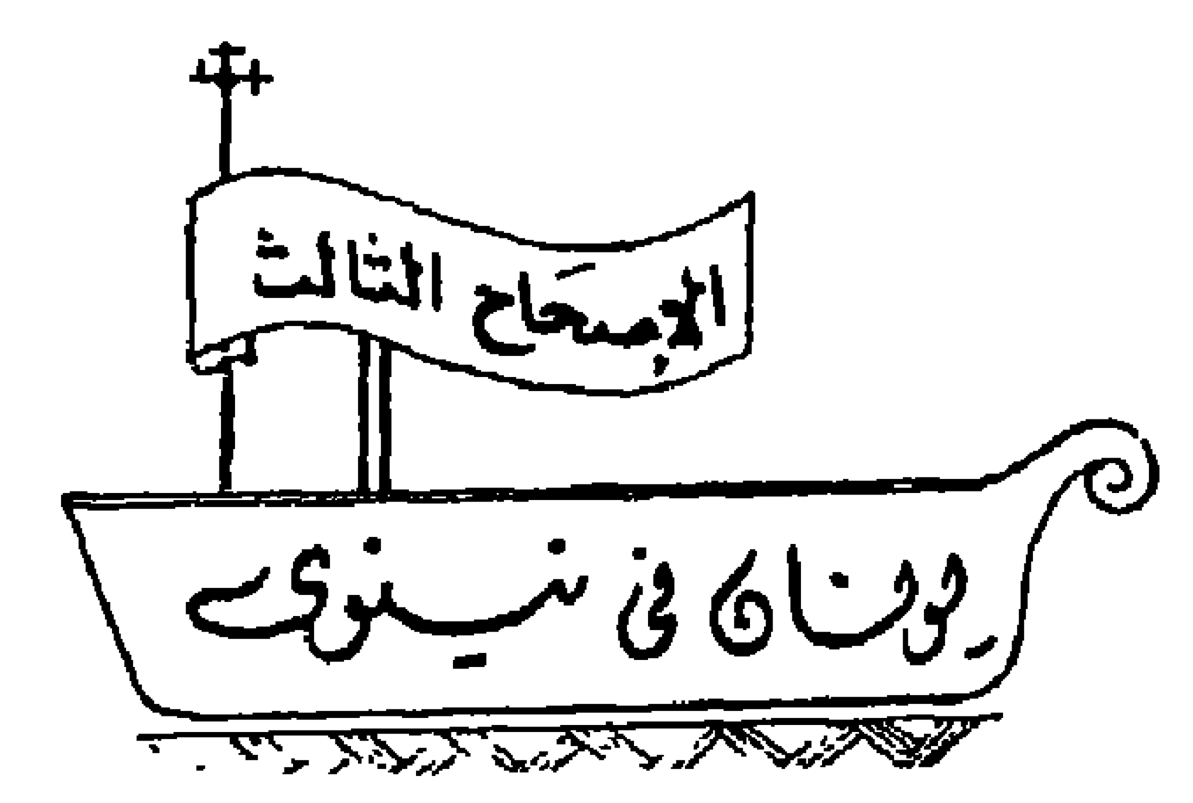
يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** إن الله قدم ليونان دروساً متوالية فى الترفق بالآخرين ، فإن كان الحوت قد إبتلعه ثم قذفه دون أن يؤذيه ألا يليق به أن يترفق هو بإخوته فى البشرية وإن كانوا أمميين ؟! « لقد إستقبلته الأمواج ولم تخنقه ، وتلقفه الحوت دون أن يهلكه ... بهذا كان يليق بالنبى أن يكون رقيقاً ورحيماً ، لا أن يكون

آقسى من الحيوان المفترس أو البحارة الجهلاء أو الأمواج العنيفة (٢٢) .

ويرى **القديس چيروم** أن تعبير « قذف » يشير إلى الحياة المنتصرة الخارجة من حيث يوجد الموت ، فلم يكن ممكناً لجوف الجحيم أن يمسك بيونائنا ولا بالفساد أن يلحق به . وكما يقول المرتل : « لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية . لن تدع تقيك يرى فساداً » (مز ١٦ : ١٠) .

لقد قام من بين الراقدين كباكورة لنا ، يقيمنا معه ، وكما يقول **القديس چيروم** : [الذى مات لكى يحرر المسبيين من رباطات الموت يقدر أن يقود الكثيرين نحو الحياة » .





إذ قام يونان كما من القبر إنطلق إلى أهل نينوى الأممين لينعموا بعمل الله .

١ ـ دعوة يونان للعمل ١ ـ ٤ .

٢ ـ إيمان نينوى وتوبتها ٥ ـ ٩ .

٣ ـ تمتع نينوى بالرحمة ١٠ .

+ + +

١ ـ دعوة يونان للعمل :

إذ تمتع يونان بالحياة بعد الموت دعاه الرب ثانية للخدمة لينعموا هم أيضاً بالحياة ، والعجيب أن الله لم يعاتب يونان بكلمة ولا جرح مشاعره بسبب هروبه فى الإرسالية الأولى ، إذ يقول الكتاب :

« ثم صار قول الرب إلى يونان ، قائلاً : قم إذهب إلى نينوى المدينة العظيمة ونادِ لها المناداة التى أنا مكلمك بها . فقام يونان وذهب إلى نينوى بحسب قول الرب . أما نينوى فكانت مدينة عظيمة لله مسيرة ثلاثة أيام ، فإبتدأ يونان يدخل المدينة مسيرة يوم واحد ونادى . وقال : بعد أربعين يوماً تنقلب نينوى » (ع ١ ـ ٤) .

يصف نينوى هكذا « مدينة عظيمة لله مسيرة ثلاثة أيام » ؛ بالمعنى الحرفى تعنى إنها مدينة ضخمة يقطعها الإنسان فى ثلاثة أيام ، أو يبقى يجول فى شوارعها ثلاثة أيام ، أما بالمفهوم الروحى فإن نينوى كعاصمة لأشور قد سلمت نفسها للشيطان تتعبد للأصنام ، لكن الله يتطلع إليها ، أنها مدينته العظيمة التى إغتصبها العدو بتسليم نفسها له . الله لا يحتقر خليقته خاصة الإنسان ، حتى إن إنحرف عنه فهو ينتظر خلاصه ورجوعه إليه كمدينة عظيمة له يسكنها الثالوث القدوس .

فى دراستنا لسفر يشوع رأينا رقم ٣ يشير للإيمان بالثالوث القدوس كما يشير للقيامة فى اليوم الثالث (٢٢) . هذا هو سر عظمة الإنسان أن يصير مدينة الله أو كما يسميها الكتاب . « مدينة الحق » (زك ٨ : ٣) ، مملكة الثالوث القدوس ، الشاهدة لقيامة الرب بحياتها المقامة فيه .

إستجاب يونان للدعوة ودخل المدينة مسيرة يوم واحد لينادى بالتوبة ما هو هذا الدخول إلاّ إشارة إلى ظهور أحد الثالوث القدوس ، الله الكلمة الذى تجسد وتألم ، فصار كمن فى مدينتنا . حلّ فى وسطنا كواحد منا ، خلاله تقبلنا عمل الثالوث القدوس ، ونلنا الخلاص !

نادى يونان أنه بعد أربعين يوماً تنقلب مدينة نينوى ، وفى الترجمة السبعينية بعد ثلاثة أيام تنقلب مدينة نينوى . إن كان رقم ٤٠ يشير إلى حياتنا الزمنية ، لذلك صام السيد المسيح أربعين يوماً لكى نصوم كل أيام حياتنا ، فإن نينوى تنقلب بعد أربعين يوماً إذ تزول السماء والأرض حتى تنعم بالسماء الجديدة والأرض الجديدة . وإن كان رقم ٣ يشير إلى القيامة مع السيد المسيح ، فلا بد للنينوى القديمة أن تُهدم لتقوم الجديدة فيه .

٢ - إيمان نينوى وتوبتها :

« فآمن أهل نينوى بالله ونادوا بصوم ولبسوا مسوحاً من كبيرهم إلى صغيرهم » (ع ٥) .

يقول **القديس چيروم** : [آمنت نينوى ، أما إسرائيل فقاوم غير مصدق . آمن أهل الغرلة ، أما أهل الختان فاستمروا فى عدم إيمانهم » .

إرتبط إيمان أهل نينوى بالعمل فقدموا توبة عملية اسلحتها الصوم والمسوح وكما يقول **القديس چيروم** : [الصوم والمسوح هما أسلحة التوبة ، معين للخطاة . الصوم أولاً ثم المسوح ، الأول يشير إلى ما هو غير منظور و يليه ما هو منظور . واحد قائم أمام الرب على الدوام والآخر يقوم إلى حين أمام الناس] . وكأنه يليق بتوبتنا أن نبدأ بالصوم الخفى والحياة العملية السرية وعندئذ ننطلق إلى الأعمال الظاهر .

يقول **القديس چيروم** : [بالتوبة ترتبط المسوح بالصوم ، حتى أن البطن الفارغة

وملابس الحزن تترجى الرب بقدر كبير فى الصلاة] .

قدم الكل التوبة العملية لله ، فلبس المسوح كبيرهم كما صغيرهم . تقدم الملك والعظماء موكب التوبة ، وإشترك فيه كل الشعب وأيضاً البهائم ... مع أن يونان لم يعط كلمة رجاء واحدة ، ولا حدثهم عن محبة الله وترفقه ، ولا علمهم شيئاً عن التوبة ... فصارت نينوى مثلاً رائعاً وحياً عن التوبة الصادقة .

من هو الملك الذى لبس المسوح إلا الإرادة الإنسانية التى تنحنى أمام الله لتعلن خضوعها له وقبولها أن تفتقر من أجل ذاك الغنى الذى إفتقر ليغنيها . تبدأ التوبة بتغيير داخلى فى إرادة الإنسان أى ملكنا الداخلى . لقد خلع الملك رداءه الملكى ولبس المسوح وجلس على الرماد ، لكى تخلع إرادتنا البشرية الثياب التى من عمل يديها وتعترف بعريها وفقرها الذاتى ، فيُلبسها الرب إرادته السماوية الملوكية ويهبها الإنسان الجديد الذى على صورته ، ويقيمها من المزبلة لتجلس مع السمائيين ، ويكون للنفس موضعاً فى حضن الآب . أما العظماء فى توبتهم يشيرون إلى تقديس المواهب والقدرات التى لنا ، لتعمل لحساب مملكة الله . وأما البهائم فتشير إلى الجسد بطاقاته التى سلك قبلاً فى الظلمة بطريقة حيوانية . بمعنى آخر التوبة تمس الإنسان بكليته : نفسه وجسده ، إرادته وقدراته ، أحاسيسة وتصرفاته !

هنا يليق بنا أن ندرك أن ما جذب قلب الله إليهم ليس صومهم فى ذاته ولا المسوح فى ذاتها وإنما القلب التائب الذى يسنده الصوم وتعينه المسوح . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** : [صام أهل نينوى وإقتنوا محبة الله ، أما اليهود فصاموا ولم ينتفعوا شيئاً بل بالحرى نالوا لوماً (أش ٥٨ : ٣ ، ٧ ، ١ كو ٩ : ٢٦) . إذن فالخطر فى الصوم عظيم بالنسبة للذين لا يعرفون كيف ينبغى عليهم أن يصوموا . لنتعلم قوانين هذا التدريب حتى لا نركض باطلاً أو نصارع الهواء ، أو نكون فى حزننا نصارع ظلالاً . الصوم دواء ، لكنه ليس نافعاً على الدوام إن إستخدمه بطريقة غير سليمة بسبب عدم خبرة مستخدميه [٢٤]] .

ما يجذب أنظارنا فى توبة أهل نينوى الرجاء المفرح ، فقد كانت كلمات يونان قليلة وعنيفة لكن أهل نينوى لم يفقدوا رجاءهم فى الرب الرحيم ، وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** : [كانت رسالة الله على فم يونان واضحة ، لم يذكر فيها شيئاً عن

قبولهم إن رجعوا ، لكنهم أعلنوا توبتهم ، قائلين : « **لعل الله يعود ويندم ويرجع عن حمو غضبه فلا نهلك** » (ع ٩) . فإن كان الأمميون غير الفاهمين إستطاعوا إدراك هذا ، كم بالحرى يليق بنا نحن الذين تدربنا على التعاليم الإلهية وشاهدنا أمثلة كثيرة من هذا النوع عبر التاريخ وفى إختباراتنا الحالية أن ندرك ؟! (٢٥)] .

٣ ـ تمتع نينوى بالرحمة :

« فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ندم الله على الشر الذى تكلم أن يصنعه لهم فلم يصنعه » (ع ١٠) .

ملاحظة فى هذا النص :

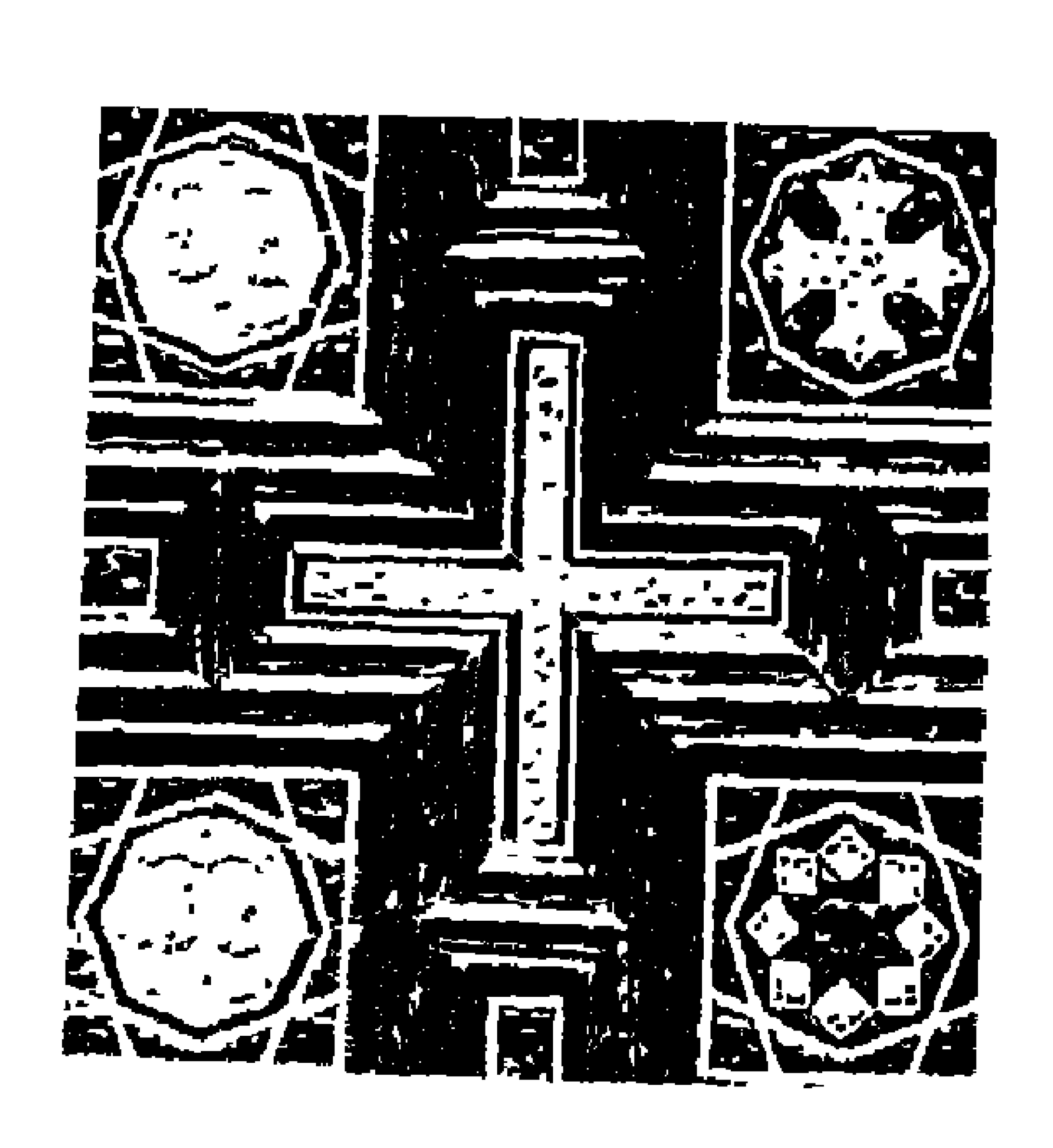
أولاً ـ التوبة لا تحتاج إلى زمان طويل بل إلى تغيير القلب ، فقد إستطاع أهل نينوى إغتصاب مراحم الله ليس خلال طول الزمان وإنما خلال صدق العودة إلى الله . إن كان يليق بنا أن نقضى كل حياتنا فى توبة مستمرة بلا انقطاع مشتهين البلوغ إلى قياس ملء قامة المسيح ، لكن هذه النظرة لا تنزع عنا إدراكنا مراحم الله المترقبة رجوع كل إنسان لتحتضنه فى الحال . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [حيث توجد مخافة الله فلا حاجة إلى (كثرة) الأيام ولا إلى تدخل الزمن ، وعلى العكس إن لم توجد مخافة الله فلا نفع للأيام ... إن ألقينا إناءً به صدأ فى أتون مخافة الله ، يتنقى فى وقت قصير (٢٦)] .

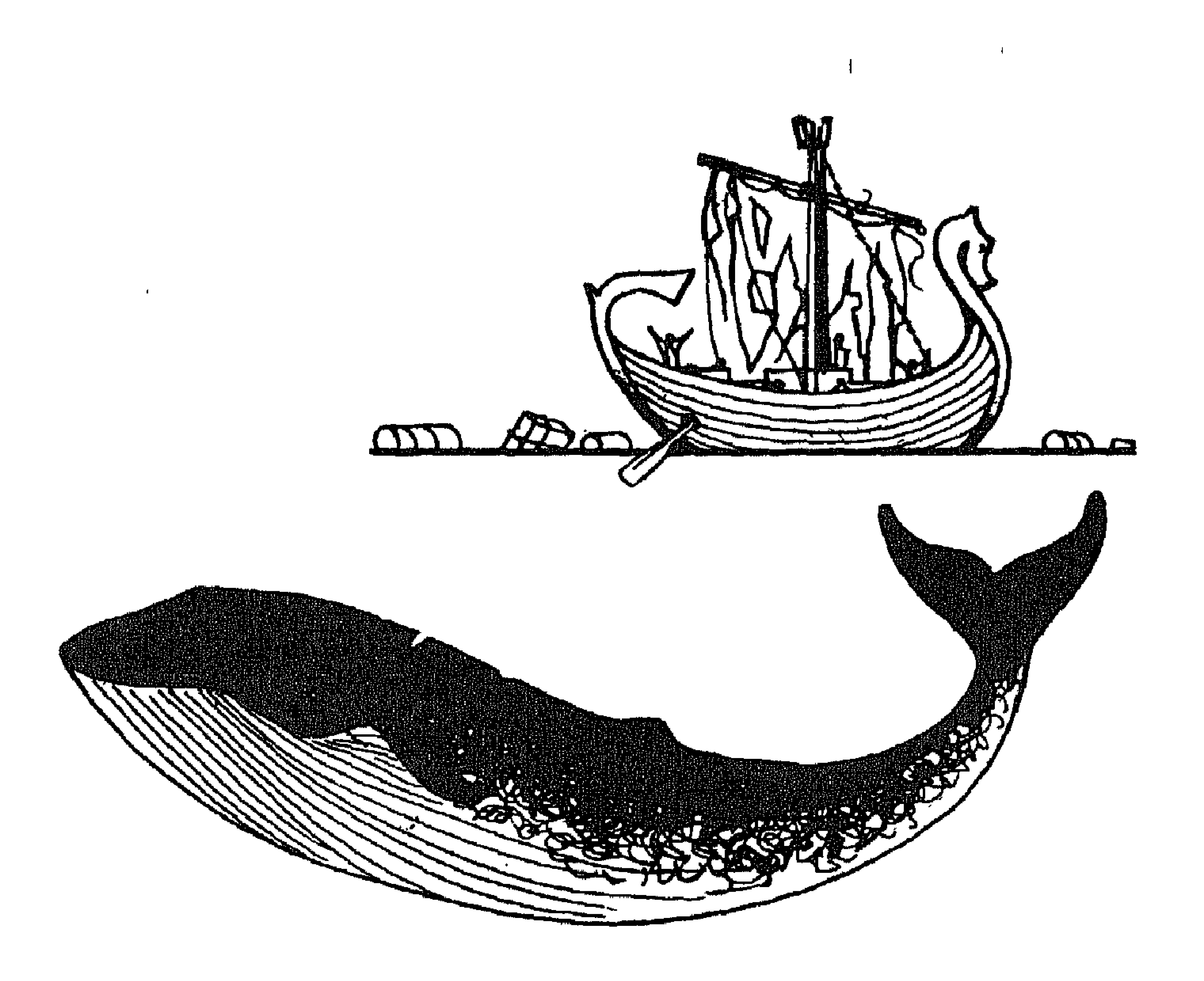
ثانياً ـ كلمة « الشر » تعنى هنا الضيقات أو التأديبات التى يسمح الله بها للإنسان لتأديبه أو ليكون مثلاً للآخرين ، فهى فى عينى الإنسان شراً ، لكنها ليست كذلك فى طبيعتها . وكما يقول **العلامة ترتليان** : [يستخدم اليونان أيضاً كلمة « الشرور » أحياناً عن « الضيقات وما يحل من أضرار » (٢٧)] ، هذا أيضاً ما أكده الأب ثيؤدور (٢٨) .

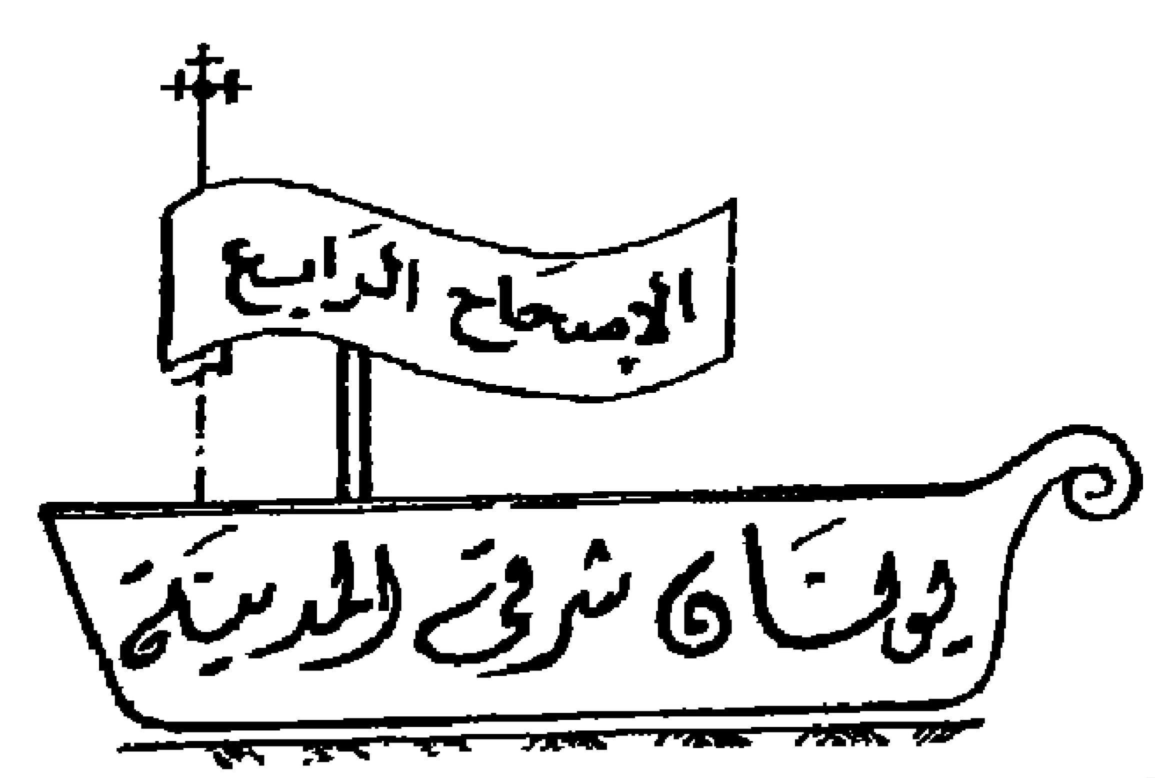
ثالثاً ـ قديماً تعثر البعض من تعبير الكتاب « ندم الرب » ، فهل يغير الله رأيه ؟ يستخدم الله التعبير البشرى لتقريب المعنى إلينا ، فالله لا يندم بمعنى تغيير رأيه ، إنما الإنسان هو الذى يغير وضعه بالنسبة لله فيصير الحكم بالنسبة له مختلفاً . فعندما يعاند الإنسان يسقط تحت التأديب ، وإذ يرتد عن شره و يرجع إلى الله يجده فاتحاً أحضانه

له . هذا ما ندعوه ندماً ! الله حينما يصدر حكمه بالتأديب لا يصر على التنفيذ إنما يصدر الحكم لكى يرجع الإنسان عن شره فيعفى عنه .

فى هذا يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [فى أيام يونان لو لم يهدد الله بالدمار لم نُزع عنهم الدمار... لو لم يهددنا بجهنم لسقطنا جميعاً فيها (٢٩)] . كما يقول : [التهديد بالخطر يسبب خلاصاً منه ... التهديد بالموت يجلب حياة . أُبطل الحكم بعد أن أُعلن وذلك على عكس ما يحدث بين القضاة الزمنيين ، فإنهم إذ يصدرون حكماً يصير نافذ المفعول ... أما بالنسبة لله فبالعكس يُعلن الحكم لكى يبطله (٣٠)] .







إن كان الله قد أشرق على نينوى بمراحمه فإنه لا يترك يونان فى ضيقة نفسه ، بل يدخل معه فى حوار شرق المدينة حتى تستريح نفسه فيه .

١ - يونان فى غمه	١ - ٤ .
٢ - يونان شرق المدينة	٥ .
٣ - يونان تحت اليقطينة	٦ - ٨ .
٤ - حديث الله الختامى	٩ - ١١ .

+ + +

١ - يونان فى غمه :

« فغم ذلك يونان غماً شديداً فاغتاظ ، وصلى إلى الرب وقال : آه يارب أليس هذا كلامى إذ كنت بعد فى أرضى ، لذلك بادرت إلى الهرب إلى ترشيش ، لأنى علمت أنك إله رؤوف ورحيم بطىء الغضب وكثير الرحمة ونادم على الشر ، فالآن يارب خذ نفسى منى لأن موتى خير من حياتى . فقال الرب : هل إغتظت بالصواب ؟! » (ع ١ - ٤) .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [حقاً لقد خجل النبى إذ رأى أن ما تنبأ به لم يتحقق ... أما الله فلا يخجل إذ يطلب أمراً واحداً هو خلاص البشر وصلاح خادمه (٣١) .

ويرى **القديس چيروم** أن غم يونان وشكواه يقومان على إدراكه مراحم الله ورأفاته إذ لم يكن ممكناً أن يقدمه لأهل نينوى كإله قاس ، لذا إشتهى الموت ولا يرى مراحم الله تدرك الأمم بينما إسرائيل يهلك ، فيقول على لسان النبى [إننى الوحيد بين كثرة الأنبياء أعلن لشعبى عن دماره خلال خلاص الآخرين] . خلال هذه المشاعر المملوءة حباً نحو شعبه - وإن بدت تحمل قسوة نحو الأمم - جعلته يطلب من الله أن يأخذ

نفسه فإن موته خير من حياته ... مرة أخرى يكرر يونان ذات الطلب بعد أن جفت اليقطينة أى إسرائيل! على أى الأحوال هذه الطلبة أو الشهوة حملت جانباً نبوياً، فكممثل للسيد المسيح أو كرمز له يطلب الموت عن شعبه متطلعاً أن خلاص البشرية يتحقق بموت الصليب لا بالنزول عنه أو الخلاص منه. فلا عجب إن قال السيد المسيح نفسه لتلاميذه: « شهوة إشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم » (لو ٢٢ : ١٥) . إن كان هو حمل الفصح الذبيح فإنه يشتهى أن يقدم حياته بيديه ليهب مؤمنيه جسده ودمه المبذولين عن خلاص العالم!

إشتهى يونان أن يموت لكن فى مرارة من أجل هلاك شعبه المعلن خلال خلاص الأمم، أما يوناننا فجاء لأجل هذه الساعة، متقدماً للآلام بسرور مستهيناً بالخزى (عب ١٢ : ٢) ليفدى البشرية كلها.

٢ ـ يونان شرق المدينة

« وخرج يونان من المدينة وجلس شرق المدينة وصنع لنفسه هناك مظلة وجلس تحتها حتى يرى ماذا يحدث فى المدينة » (ع ٥).

خرج يونان من المدينة مغموماً ومملوء غيظاً وجلس شرق المدينة يترقب ماذا يفعل الرب بالمدينة. لعل يونان نفسه كان يمثل الفكر اليهودى أو الإبن الأكبر الذى وقف خارج البيت متألما لأن أخاه الأصغر عاد إلى بيت أبيه (لو ١٥ : ٢٥ - ٣١) . بينما كان البيت مملوء فرحاً وبهجة بعودة الضال إذا بالأكبر فى بره الذاتى يبقى خارج البيت يلوم أباه بكلمات قاسية.

المدينة العاصية نينوى اغتصبت بالإيمان العامل بالمحبة مراحم الله، يونان النبى إنطلق إلى خارجها يقيم مظلة هى من صنع يديه، أى بره الذاتى، حاسباً نفسه أفضل من الغير، مترقباً غضب الله عليهم.

٣ ـــ يونان تحت اليقطينة :

« فأعد الرب الإله يقطينة فارتفعت فوق يونان لتكون ظلاً على رأسه لكى يخلصه من غمه، ففرح يونان من أجل اليقطينة فرحاً عظيماً. ثم أعد الله دودة عند طلوع الفجر فى الغد فضربت اليقطينة فيبست، وحدث عند طلوع الشمس أن الله أعد ريحاً

شديدة فضربت الشمس على رأس يونان فذبل وطلب لنفسه الموت ، وقال : موتى خير من حياتى » (ع ٥ -٨) .

ماذا أراد الله بهذه اليقطينة التى أعدها الرب الإله ثم أعد لها الدودة لتضربها ؟

أولاً - بلا شك اليقطينة هى الشعب اليهودى الذى قال عنه الرب : « **أنت شفقت على اليقطينة التى لم تتعب فيها ولا ربيتها التى بنت ليلة كانت وبنت ليله هلكت** » (ع ١٠) .

إن كان يونان قد فرح باليقطينة فرحاً عظيماً (ع ٦) ، إذ كان محباً لشعبه بشدة ، لكن ليس له فضل فى هذه اليقطينة ... لم يزرعها ولا تعهدها ولا سهر عليها ، أما الله فهو الذى أقام إسرائيل وتعهده ، أخرجه من عبودية فرعون ، وقدم له الشريعة ، ودخل به أرض الموعد وأعطاه النبوات ولم يتركه معتازاً شيئاً . وكما عاتبه الرب قائلاً : « والآن يا سكان أورشليم ورجال يهوذا أحكموا بينى وبين كرمى ، ماذا يُصنع أيضاً لكرمى وأنا لم أصنعه له ؟! » (أش ٥ : ٣ ، ٤) .

كان يليق بيونان الذى يمثل جزءاً صغيراً من أحد فروع هذه اليقطينة ألا يغتم ويغتاظ فإن الذى أقام اليقيطنة وإختارها وتعهدها هو الله نفسه الذى أرسله إلى نينوى ليرعاها الله أيضاً خلاله !

لقد دعاها « بنت ليلة كانت وبنت ليلة هلكت » (ع ١٠) ، لم تكن « بنت نهار» أو « بنت نور» بل « بنت ليلة » لأنها رفضت مخلصها شمس البر، وأحبت الظلمة أكثر من النور. وكما يقول القديس يوحنا الإنجيلى : « كان النور الحقيق الذى ينير كل إنسان آتيناً إلى العالم ... إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله ، وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنين باسمه » (يو ١ : ٩-١٢) .

ثانياً ـ أقام الله ليونان يقطينة ليسحبه من مظلته التى هى من صنع يديه ، وكأنه يسحب الإنسان من بره الذاتى لكى ينعم بظلال هى من يد الله خالقه وراعيه . لكن كان لزاماً للقطينة أن تجف ليقيم عوض هذه الشجيرة الضعيفة خشبة الصليب التى تستظل تحتها الكنيسة لتنعم بفرح الإنجيل ، قائلة : « تحت ظله إشتهيت أن أجلس وثمرته حلوة لحلقى » (نش ٢ : ٣) .

إن كان يونان قد خرج إلى شرق المدينة ينتظر بروح النبوة إشراق شمس البر (ملا ٤ : ٢) الذى يضىء لا على إسرائيل وحده بل وعلى كل الأمم ، فقد فرح جداً باليقطينة إذ تمتع إسرائيل بالشريعة والنبوات لتقوده إلى مخلصه ، لكنه لم يكن قادراً أن يقبل زلة إسرائيل كطريق لإنطلاق الإيمان إلى الأمم لذا إغتم على اليقطينة اليابسة ، فقد أراد أن يعيش تحت الرموز وبين ظلال النبوات كملجأ له ولم يدرك أنها طريق ينطلق به إلى مشتهى الأمم .

إن كان الناموس هو قائدنا للمسيح كقول الرسول بولس ، لكن إسرائيل تمسك بحرفية الناموس وشكليات العبادة رافضاً خشبة الصليب المحيى .

أقول ، لتخرج نفوسنا إلى المشارق لتنعم بإشراقات الرب عليها ؛ لتجف يقطينة الحرف القاتل لتنعم بالروح المحيى ، ونتقبل فى داخلنا مشتهى الأمم كسّر إستنارتنا وبهجتنا وشبعنا !

ثالثاً ـ إذ سبق الله فتحدث مع يونان خلال النوء العاصف والسفينة التى تتخبط والبحارة الأمميين والقرعة والحوت يحدثه الآن خلال اليقطينة الضعيفة والريح الشرقية والدودة المحطمة لليقطينة . الله يتحدث فى كل مرحلة باللغة التى يتجاوب معها الإنسان ويتفهمها ، فحين كان يونان ثائراً فى قلبه على قرار الله نحو نينوى متخذاً قراراً بالهروب حدثه الله بلغة العنف اللائق بالقلب العنيف . حدثه بلغة النوء ليدرك ثورته الداخلية ، ولغة البحارة الأمميين ليدرك أنه عرج عن روح الإيمان ، وحدثه بالسفينة التى تتقاذفها الرياح ليكتشف قلبه الذى كاد يجنح وسط بحر هذا العالم ، وتكلم معه خلال الحوت ليدرك الهوة التى إنجرف اليها والأعماق التى إبتلعته والسجن الذى أقام فيه نفسه ... والآن إذ خرج يونان هزيلاً ليس فيه قدرة على المقاومة حدثه باليقطينة الشجيرة الضعيفة والدودة المفسدة ليدرك أنه ليس إلاّ شجيرة ضعيفة تحطمها دودة الجحود وعدم التسليم !

فى إختصار نقول أنه باللغة التى يحدثنا بها الرب نكتشف أعماقنا الخفية .

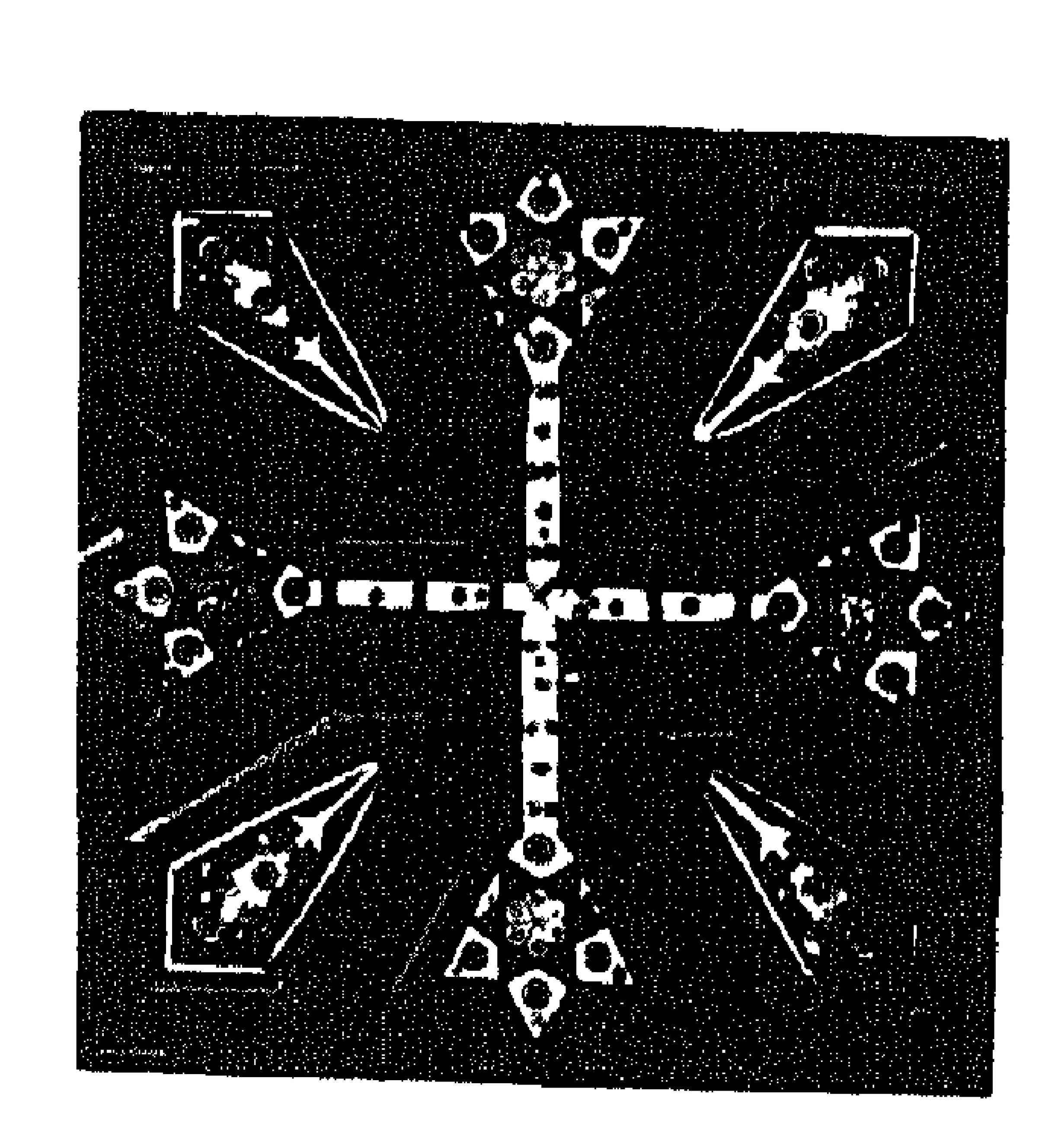
رابعاً ـ يرى **القديس هيبوليتس الرومانى** أن الرياح الشرقية الحارة التى أعدها الله تشير إلى ضد المسيح الذى يخرج من الشرق بسماح إلهى مقاوماً الكنيسة قبيل مجىء الرب الأخير .

٤ ـ حديث الله الختامى :

ختم الله حواره مع يونان بهذه العبارة الجميلة : « أنت تشفق على اليقطينة التى لم تتعب فيها ولا ربيتها التى بنت ليلة كانت وبنت ليلة هلكت ، أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التى يوجد فيها أكثر من إثنتى عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم ،وبهائم كثيرة » (ع ١٠ ، ١١) .

هكذا يكشف الله عن محبته للبشرية التى هى عمل يديه .

نينوى كما يقول القديس چيروم المدينة العظيمة التى هى الكنيسةَ الحاوية الإثنى عشر سبطاً الروحيين الذين يعودون إلى الطفولة فى براءتها وبساطتها .



الملاحـــظات

المقدمه :

1 - Biblical Illustrator: The Minor Prophets, V.I, Jonah IV.
2 - J. Mckenzie: Dict. of Bible, P. 618.
3 - The New Westminster Dict. of Bible, P.669.
4 - Raven: O.T. Introd, P. 224, 225.
٥ - كنيسة الشهيد مار جرجس باسبورتنج : يونان النبي والحوت (الكتاب المقدس والعلم الحديث ٣) .
6 - Winckler: History of Babylonia and Assyria, P. 232.

الأصحاح الأول :

7 - Step 24: 7, 8.
8 - Herod. 4: 152.
٩ - يافا : مدينة قديمة على شاطيء البحر الأبيض المتوسط ، تبعد حوالى ٣٥ ميلاً شمال غربى أورشليم .
10 - Conc. Stat. 5: 18.
11 - PL 26: 25 In Matt. 1.
12 - Conc. Stat. 6: 14.
13 - Ibid 5: 19.
14 - Ibid 5: 18.
15 - Tert. On Resur. of The Flesh 58.

الأصحاح الثانى :

16 - PG 63, Eclogue on Prayer.
17 - On Ps. Hom 41.
١٨ - راجع للمؤلف : حزقيال ، ١٩٨١ تفسير الأصحاح ٤٧ .

19 - Of the Holy Spirit 1: 16.
20 - Ep. 113: 77.
21 - Ser. on N.T. 35: 7.
22 - Conc. Stat. 5: 18.

الأصحاح الثالث :

٢٣ - للمؤلف : يشوع ، ١٩٨٢ ، ص ٤٦ ، ٤٧ .

24 - Conc. Stat. 3: 8.
25 - Letter to Theodore.
26 - Conc. Stat. 20: 21.
27 - Adv. Marc 2: 24.
28 - Cassian: Conf. 6: 6.
29 - In 1 Tim. Ham 15; Conc. Stat. 5: 16.
30 - Conc. Statu. 5: 16.

الأصحاح الرابع :

31 - Conc. Stat. 5: 18.

صدر عن هذه السلسلة

العهد الجديد:

١- متى
٢- مرقس
٣- لوقا
٤- رومية
٥- أفسس
٦-تسالونيكى الأولى
٧- تسالونيكى الثانية
٨- تيموثاوس الأولى
٩- تيموثاوس الثانية
١٠- تيطس
١١- فليمون
١٢- العبرانيين
١٣- يعقوب
١٤- بطرس الأولى
١٥- بطرس الثانية
١٦- رسائل يوحنا الرسول
١٧- رسال يهوذا
١٨- رؤيا يوحنا اللاهوتى

أسفار العهد القديم :

١- التكوين
٢- الخروج
٣- اللاويين
٤- العدد
٥- يشوع
٦- القضاة
٧- راعوث
٨- صموئيل الأول
٩- صموئيل الثانى
١٠- أستير
١١- المزامير
١٢- أشعياء
١٣- حزقيال
١٤- نشيد الأناشيد
١٥- هوشع
١٦- يوئيل
١٧- عاموس
١٨- عوبديا
١٩- يونان النبى
٢٠- ناحوم
٢١- حبقوق
٢٢- حجى
٢٣- زكريا
٢٤- ملاخى
٢٥- الجامعة

يطلب من :

كنيسة مارجرجس أسبورتنج ـ الإبراهيمية ـ الإسكندرية.

كنيسة مارمرقس والأنبا بطرس ـ سيدى بشر ـ الإسكندرية.

مكتبة مارمرقس بالأنبا رويس ـ العباسية ـ القاهرة.

الثمن ٨٠ قرشاً

